ADEL AL-AWA
IN HIS ETHICS AND
HIS MORAL PHILOSOPHY
BY PROF.DR.
EZZAT ASSAYED AHMAD

الدكتور عزت السيد أحمد

عادل العوّا

أخلاقه وفلسفته الأخلاقية

١٤٣٩هـ/٢٠١٧م

دار الأنصار

الدكتور عزت السيد أحمد

عادل العوا
أخلاقه وفلسفته الأخلاقية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

عادل العوّا
أخلاقه وفلسفته الأخلاقية

2017

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

تطلب النسخة الورقية أو الإلكترونية من الناشر على البريد التالي

Sameah3@gmail.com

عادل العوا: أخلاقه وفلسفته الأخلاقية

إعدا وتقديم الدكتور عزت السيد أحمد

١٦٠ صفحة

بيروت

٢٠١٧م

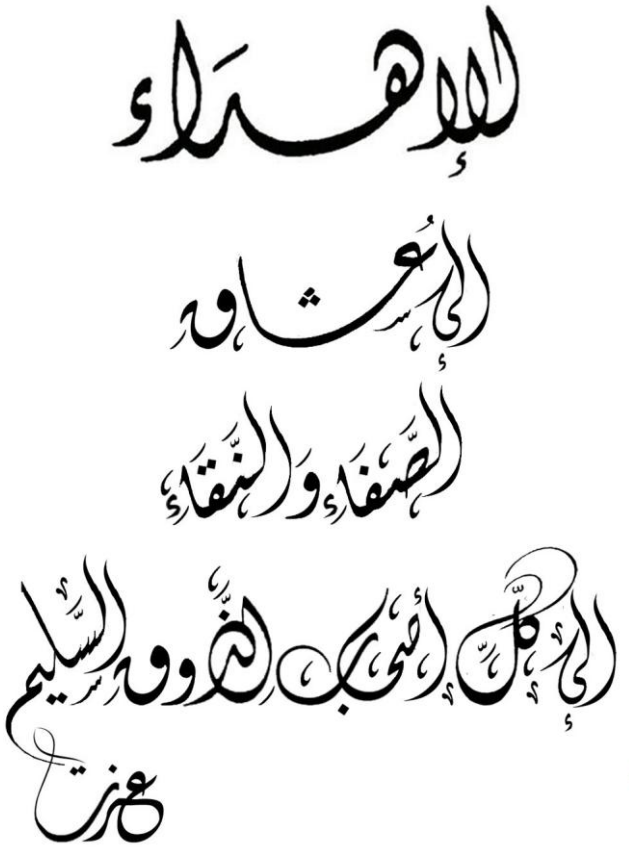
الإهداء
إلى عشاق
الصفاء والنقاء
إلى كل أصحاب القلوب السليم
عزت

لا سلطة فوق سلطة القَدَر. حقيقة يقينية عندي، ولا يعنيني من بشيء من أنكرها أو شكك فيها. تنهار كل الرغبات والقرارات والإرادات أمام إرادة الله تعالى وقدره. فسبحان الله وبحمده علىٰ ما شاء وأراد وقدَّر.

كان من المخطط له أن يصدر هٰذا الكتاب في غضون عام ٢٠٠٤م، وتقاذفته الظروف والتأجيلات وامتدت السنوات واحدة تلو أُخْرَىٰ ولم يصدر هٰذا الكتاب حَتَّىٰ اقتربت الذكر الخامسة عشرة لرحيله، فآليت علىٰ نفسي أن أجهد في نشره، وتيسير ذٰلكَ بفضل الله تعالى.

لم يغب الأستاذ العوا عن بالي بطبيعة الحال، أقول بطبيعة الحال ويعرف فقهاء الفلسفة ماذا يعني القول بطبيعة الحال، ولٰكنَّ وصول ما يكتب عنه من مقالات إليَّ كان يشعرني بالتقصير في نشر الكتاب علىٰ الرَّغْمِ من أن التأخير كان علىٰ رغمي لا بيدي.

آخر مقال وصلني في عام ٢٠٠٤م لإدراجة في الكتاب كان مقال الدكتور عبد الله أبو هيف عافاه الله وشفاه، ثمَّ علىٰ التتالي وصلتني بعض المقالات التي كانت تدفعني للتراخي بعض الشيء علىٰ أمل الوصول إلىٰ مزيد

من المقالات لجمعها في كتاب كبير، ولكني أخيراً عزمت على التفرغ لإعداد لإصدار بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لرحيله.

لن أطيل الحديث عن أستاذنا عادل العوا ففي صفحات هٰذا الكتاب بعض من الإسهاب في الكلام عنه وعن أخلاقه وفلسفته الأخلاقية، ناهيكم عن كتابي الذي صدر قبل وفاته بسنتين تحت عنوان قراءات في فكر عادل العوا وتضمن كذٰلكَ بعضاً من الإسهاب في فلسفته وفكره وأخلاقه وتاريخه بأقلام عدد من كبار أعلام سوريا في الصحافة والفلسفة والأدب.

لا يختلف هٰذا الكتاب في المبدأ عن كتابي السابق فأكثره بأقلام نخبة مثقفي سوريا وأعلامها تناولت معظمها فلسفته الأخلاقية، ولا عجب في ذٰلكَ فأكثر ما اشتهر به أستاذنا عادل العوا هو البحث في الأخلاق، وأيضاً لا أطيل في ذٰلكَ هنا لأترك ذٰلكَ للسادة الكتاب الذي تناولوا فلسفته الأخلاقية من جوانب متعددة في مقالاتهم التي حوتها صفحات هٰذا الكتاب.

مسألة مهمة أود الإشارة إليها هنا قبل أن أترك القارئ لموضوعات الكتاب وهي أنَّ هٰذه المقالات التي تضمنها الكتاب لم تغط جوانب الفلسفة الأخلاقية لدى أستاذنا عادل العوا، فما زال أمام الراغبين في البحث الكثير من الموضوعات والجوانب التي تستحق المعالجة والبحث والمناقشة...

وإلىٰ جانب الفلسفة الأخلاقية ثَمَّة الكثير من الجوانب الفكرية التي لم يعرها أحد انتباهاً لطغيان شهرة أستاذنا في البحث الأخلاقي حَتَّىٰ كادت تتلاشى مواقف أستاذنا وآرائه أمام طغيان شهرته باحثاً أخلاقيًّا. ثَمَّة الكثير من الموضوعات التي وإن بدت متصلة بالأخلاق والفلسفة الأخلاقية إلا أنَّها مباحث فريدة تستحق الوقوف عندها ومناقشتها وخاصة منها سلسلة كتابته الأخيرة

ومنها تحديث الأسرة والزواج،لقاء القيم في الفكر العربي، المزاج الحضاري في الفكر العربي والإنسان ذٰلكَ المظلوم وغيرها غير قليل.

علىٰ أي حال لا أظن إلا أنَّ ذٰلكَ كله سيكون إن شاء الله تعالى مفاتيح إلهام للباحثين في فكر عادل العوا الذين سيجدون مساحات كثيرة وواسعة للبحث في فكره.

مع الأسف الشديد، ولن أخوض غمار الأسباب هنا، فإننا في ثقافتنا العربية والإسلامية اعتدنا علىٰ تقزيم أعلامنا ومفكرينا الأصلاء والتعامل معهم علىٰ أنهم ناقلين ومترجمين لا قيمة لما يقدمونه، والذي يصعقك هو المقابل الذي يحيل المشهد الفكر والثقافي العربي إلىٰ نوع من السريالية وهو تقديس وتعظيم الأقزام والناقلين وتحويلهم إلىٰ رموز للثقافة العربية والإسلامية في جين أنهم أقزام كثير عليهم أن يكونوا ناقلين لأنَّ نقلهم ذاته غير أمين ولا سليم. وفي الفقرة ذاتها ولا أنتقل إلىٰ فقرة أُخْرَىٰ حَتَّىٰ لا يتم اجتزاء كلامي وتحويله إلىٰ تهمة يجب أن أشير إلىٰ أنَّ الاستثناء في الطرفين ممكن وموجود؛ ثَمَّة عمالقة جديرون بما هم فيه من مكانة وقيمة وأهمية، فليس كلُّ عملاق عملاق تزويراً، وليس كل مغمور أصيل ومهم ومظلوم.

لا أريد الحديث هنا ولا في هٰذا الكتاب حديثاً شخصيًّا عن عادل العوا الأستاذ والأخ والأب والصديق وإنما سأترك ذٰلكَ لكتاب آخر آمل أن يصدر قريباً سيكون عنوانه مبدئيا: عادل العوا سنديانة بعبق البنفسج، أو رُبَّما يحمل عنواناً آخر من قبيل: عادل العوا وحديث الذكريات.

ينقسم هٰذا الكتاب إلىٰ بابين أو قسمين وإن لم أسم الكتاب فصولاً ولا أبواباً. القسم الأول هو المراثي التي تلت وفاته رحمه الله تعالى وأسكنه

فسيح جناته، والقسم الثاني هو المقالات التي تناولت فلسفته الأخلاقية ولم يخل بعض منها من الحديث عن أخلاقه فكان مجموع المقالات أربعاً وعشرين مقالاً.

أكتفي بهٰذا القدر من التقديم فأكثر الناس لا تقرأ المقدمات وأكثر هٰذا الكثير لا يحب المقدمات. علىٰ أيِّ حال فإن المقدمات تختلف باختلاف الثقافات هي جزء صميمي من البحث عند بعض، وتمهيد عند بعض، وتحفيز عند بعض... وعندي يمكن أن تكون توثيقاً لبعض ما لا يستحب قوله في الكتاب أو البحث.

الكلمة التي ألقاها الدكتور عادل العوا

بمناسبة الندوة التكريمية التي أقامته له دار الفكر الفلسفي

د. عادل العوا

أشكركم أجمل شكر، وأعرب لكم عرفاني بفضلكم، وامتناني لكرمكم، في هذا اللقاء التكريمي، وما كان لي أن أستحقَّ ما شرفتموني به من إعزاز وثناء لست جديراً، ولا بأكثره، وقد غمرني حسن ظنكم، وشملني كلُّ جودكم وعطفكم، فالشكر لكم مشفوعاً بالحمد والمنة لكم، ما حييت.

ويطيب لي بمناسبة هذا اللقاء أن ألمع إلى بعض ما قد تفيد معرفته من قصَّة حياةٍ امتدت حقبة عمري، وقد أصبحت وقائعها ملتصقة بوقائع تاريخية هي التي أودُّ أن أشير إليها، لعلَّها تحمل شيئاً من الدلالة والمغزى، في جانب رئيس من جوانب نهضة بلدنا الحبيب، ووطننا الغالي، هو الجانب التعليمي الذي بدأته تلميذاً في مكتب (عنبر)، وصحبته يافعاً، فطالباً، فمعلماً عضواً في النقابة الموحدة للمعلمين.

لقد عرفت مكتب (عنبر)، وهو الثانوية الرسمية المتفردة للذكور بدمشق، عرف أساتذة أجلاَّء كانوا من فضلاء العاملين على تقدُّم النهضة العلمية والفكرية في القطر، يجمع بينهم السهر على إيقاظ مجتمعنا من نوم الغفلة، ورقدة الجهل، كما يقول **إخوان الصَّفا**، ويسعدني أن أذكرهم جميعاً في موقفي هذا، وكانوا في منطلقه، أذكر فضلهم العميم بنسغ حياة نمت من مآثرهم، وترعرت، حتَّى أوصلتني إلى متعة لقائكم اليوم، ويطيب لي أن أمضي بعرفاني على سَنَن تقليد فلسفي عربي موصول اختطَّه **الكندي** رائد فلاسفتنا الرسميين، وهو يناشد أبناء جلدته العرب المسلمين الاعتراف بفضل اليونان، مثلاً، قائلاً: «ينبغي أن نشكرهم، إذ هم سبب لنا إلى نيل الحقِّ»، وأنَّهم «أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية»، فقد كانوا لنا «أنساباً وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم التي صارت لنا سبلاً وآلات مؤدية إلى علم كثير مما قصروا عن نيل حقيقته».

هكذا طلب **الكندي**. وهكذا فعل **ابن سينا** باعترافه بفضل **أرسطو** كبير المشائين. ومثلهما أقرَّ **ابن رشد** بفضله لأنَّه هو الممثل الأكمل للفلسفة، وأنَّه كان أسمى صورة تمثل فيها العقل الإنساني حتَّى إنَّه ليميل إلى تسميته الفيلسوف الإلهي.

ليس لي، في هذا اللقاء الكريم، أن أحدثكم عن نفسي. فالأنا كريهة كما يقول **باسكال**، ولكني سأتحدث لحظة واحدة عمَّا عاصرني في (عنبر)، وأنا تلميذٌ، وعمَّا عاصرته وأنا معلم في الجامعة، وأختار ثلاث صور مشخَّصة من الزاد المعرفي في بلدنا وإمكاناته الآخذة بالتَّغير إلى الأحسن في جل الأحيان.

أساتذة (عنبر)، كما ذكرت، علماء أدباء فضلاء. يكفي أن أختار منهم اثنين كلاهما عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، أحدهما يمثل الفكر الأدبي

العربي الصرف، وهو الأستاذ **سليم الجندي**. والآخر يمثل الفكر العلمي، العلم الدخيل كما كان يقال، وهو الأستاذ الدكتور **جميل صليبا**.

إليكم أنموذجاً مما عرف التلاميذ في مقرر الأدب العربي على مستوى الثانوي:

كتب الأستاذ **سليم الجندي** عام ١٩٣٦م متحدثاً عن **امرئ القيس** يقول:

«في شعره أبياتٌ رائعة لم يستطع الشعراء إلى هذا اليوم أن يأتوا بمثلها في جمال الأسلوب، وجلاء المعنى، وسلامة القصد، من ذلك قول يصف امرأة بطيب الرائحة:

ألم ترى أني كلما جئت طارقاً

وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب!؟

وقوله يصف امرأة بطراوة الجسم ونعومته:

من القاصرات الطرف لو دبَّ محول

من الذَّرِّ فوق الإتب منها لأثَّرا!

وقوله يصف فرسه بشدَّة الجري:

على هيكل يعطيك قبل سؤاله

أفانين جريٍ غير كزٍّ ولا وان

وقوله أيضاً يصفه بالمطاوعة والسرعة:

*** كجلمود صخر حطَّه السيل من علِ ***

وله في باب الوصف، والتشبيه، والكناية، والغزل، والحكمة، والفخر، وغيرها، أبيات لا تزال مثلاً أعلى في جودتها، ولن تزال.

ثمَّ يردف الأستاذ **الجندي** قائلاً: ولسنا نزعم العصمة في كلِّ ما أتيناه من الزلل والخطأ، وإنَّا لنرجو ممن اطلع فيه على خطأ أو غلط أن يرشدنا إليه لنضاعف الشكر، ونبادر إلى إصلاحه»(١).

وإليكم أنموذجاً آخر مما عرف التلاميذ في صف الفلسفة إذ يقول الدُّكتور **جميل صليب** في كتاب علم النفس ناقلاً عن **وليم جيمس**:

«لشدَّ ما يختلف إدراكنا للأشياء بحسب ما نكون أيقاظاً أو نعساً، جياعاً أو شباعاً، في الراحة أو في التعب، فيتبدل شعورنا بالأشياء بين عشية وضحاها، بين الصيف والشتاء، أو بين الطفولة والشباب والشيخوخة ... وكثيراً ما نعجب لتبدل قيم الأشياء في أعيننا ... فيغدو الخيالي حقيقياً، والمهمُّ تافهاً، ويخيل إلينا أنَّ أحبابنا الذين لم نرغب في الحياة إلا من أجلهم قد تبدلوا اليوم إلى ظلال زائلة. فكيف صارت هذه النساء؟ وتلك النجوم والغابات والمياه قاتمةً عاديةً بعد أن كانت إلهية ساحرة؟ وكيف اضمحل حسن تلك الغادات وخبت ذكرها بعد أن كانت تحرِّك في نفوسنا نسمات اللانهاية؟ إن ما كان يفتننا ويحمسنا من قبل ليملنا اليوم ببرودته القاسية، فنستثقل تغريد الطير، ونجد نسيم الصباح محزناً، والسماء مظلمة ...»(٢).

---

(١) . سليم الجندي: **عمدة الأديب؛ امرؤ القيس**. دمشق. ١٩٣٦م. ص٣.

(٢) . د. جميل صليبا: **مبادئ الفلسفة؛ ج١ البسيكولوجيا/ علم النفس**. دمشق. ١٩٣٦م. ص١٢٦.

وفي ختام مقارنة خاطفة نقفز إلى أنموذج ثالث هو من ابتكار أحد المعاصرين من أبناء دمشق، وهو مثقف معروف بالنشاط الجمِّ وبالتفوق والذكاء. وقد كتب منذ وقت قريب:

«ماذا يعني أن نفكر اليوم؟ كيف التفكير في اللامفكر به بعد». ولا ينسى أن يجيب قائلاً في سبيل الإيضاح:

«إنَّ عبارة التفكير اليوم تطرح حدوثاً، يتشخص حضوراً، ومع حادثات العالم يتوقع المرء ضرورة أن يحدث ثمة فكر. وإلا لبدا الأمر كما لو كانت تلك الحادثات لا تحدث حقاً، وكما أنَّ العالم يكفُّ عن كونه نفسه، فإنَّ انبجاس حالةِ تآخذٍ حقيقي بين الفكر والزمان يؤذن بحادثة ما، يسترد العالم من خلالها وجهاً حضورياً. فما يعطي دلالة أولية لتسآلنا: ماذا يعني أن نفكر اليوم، هو أنَّ العالم ينتأ له ثمة حدوث، يصير له وجه ما، ومن المفترض أن المتسائل يرى الوجه، يحسُّ هجوم الملامح والنظرات، وغمغمة الكلمات، يحضر ويدفع سواه إلى الحضور بطريقة ما»[٣]. ذاكم هو المثل الثالث، المعاصر، العسير على الفهم المباشر.

صحيحٌ أنَّ لغمغمة الكلمات جمالاً من نوع ما، في موقف ما، وأن عصرنا، عصر ما بعد الحداثة، مثلما هو عصر ما بعد الشعر العمودي، وما بعد الموسيقى الإلكترونية، ولعله أيضاً عصر ما بعد الماورائيات ... إنَّه عصرٌ ذو انفتاح حميد، جرأة واعدة، ولكنَّ أصالة الكلمة العربي، الماثلة في مكتب (عنبر)، في الأنموذج العربي المحض من جهة، وفي الأنموذج العالمي المترجم من جهة أخرى،

(٣) . مطاع صفدي: **الفكر العربي المعاصر** . العددان . ١٠٤/١٠٥ . ص٥ . ١٩٩٨م.

هذه الصالة تبقى مطلباً تتغير فحواه، ولكنه لا يزول. إنَّه في اعتقادي مطلب الثابت عبر التبدل، والهوية في ثنايا التقدم، وهو ما يترتب على الأجيال أن تنهض بعبئه كما حاول أبناء (عنبر) إنفاذه وإنجازه جهد المستطاع.

فليكن الوضوح نبراس الدقة المعرفية في التواصل بالكلم بين الناس.

بيد أنَّ نظرة إلى ما صرنا إليه بوجه عام لتبعث في القلب العربي الطمأنينة والسرور.

لقد كان التلاميذ في ايامنا ينسخون بأقلامهم وأناملهم دفاتر المعلمين ليتابعوا دروسهم التي يعوزها الكثير من الكتب المطبوعة. وقد نسختُ بعض دفاتر الأستاذ **الجندي** عن المعلقات و**امرئ القيس** ... ودفاتر الدكتور **صليبا** عن علم النفس والمنطق، وعن سواه دفاتر الأخلاق والميتافيزياء ... ثمَّ نمت الجامعة السورية، وأصبحت جامعة دمشق. وواكبتها سائر الجامعات السورية الحالية. وظهرت (لجنة الإنجاز) واتسعت الكتب الجامعية لعلم جميع المقررات، وصار في وسع غير المداومين في الكليات الإنسانية والاجتماعية الانطلاق أو الاكتفاء، بالقراءة والدراسة عن بعد، حتَّى ساعة الامتحان ... وقد بدأ في نفق كليَّة الآداب توافر الأقراص المدمجة .CD، وفيها لحس الحظِّ، على الأرجح، تيسير مذهل لإمكانات الدراسة الثقافية والعلمية على المستوى العالمي الرحب الانفتاح ... وستذيع عندنا أساليب التقنيات العالمية والمعلوماتية الأكثر أهمية، والأعمق تأثيراً ...

على هذا النحو، أشعر، وأنا أسترجع الماضي، وماضي الشيوخ قريبٌ دوماً، أشعر بسعادة غامرة، وحبور عظيم، حين ألمس، وفي ضوء ما ذكرت على سبيل المثال، أشعر ببهجة التقدم النامي الحاصل في مستويات التعليم في قطرنا العربي؛

أحد الأقطار العربية الغالية، ولقد عاش بلدنا منذ الاستقلال السياسي، مثلما عاشت أمتنا العربية وثبات متميزة مرموقة التكامل: الجانب الثقافي فيها يمثل عاملاً فاعلاً أساسياً هو قوام الأيديولوجيا العربية الحية، المهددة حالياً بمواحق أخطار التخلف والعولمة والشرق أوسطية وكوارث الصهيونية، وكفى بها نذيراً...

نعم، يطيب لي أن أعرب عن فرحي بتقدم بلدنا، وبنهضة الأمة العربية في كل مكان. وإنَّما هي أجيال يتلو بعضها بعضاً، وجيلكم أيها الشبان والشابات الأعزاء هو جيل القدر كما قيل، جيل المسؤولية والأمل، بعد أن وصف الأستاذ **نجاة قصاب حسن** جيلنا؛ جيل (عنبر)، بأنَّه جيل الشجاعة، أفترون أنَّه أصاب؟

أشكركم أجزل الشكر مرَّة أخرى لتشريفي بحضوركم، ثمَّ لصبركم، ولعل في الصبر على الشيخوخة بركة!

* * *

الدكتور عادل العوا

سنديانة بعبق البنفسج

الدكتور عزت السيد أحمد

عفَّةُ وعزَّةُ نفسٍ وشهامة، وحساسيَّةٌ ورِقَّةٌ ولطفُ ابتسامة، كنقطة عنبرٍ على خدِّ الكرامة... هكذا عاشها ثمانين حولاً، لم نجد له عنها حيداً ولا ميلاً. فكان كالسنديانة في صلابتها وشموخها واستعصائها على عوادي الزمان، وترفعها على السخاف والخفاف والضعاف... وكان كالبنفسجة الَّتي تضوع عبقاً يستغرق كلَّ خلايا الرئتين نشوة... يا لها من صورة رائعة؛ سنديانة بعبق البنفسج!!

هذه هي صورة **عادل العوا**، ووحده من عرف الدكتور **عادل العوا** يسلم بأنَّ أيَّ كلام جميل وإن طال فإنَّهُ في حقه قليل. ويدرك تماماً كيف يشعر من يريد الحديث عنه، عن فكره، عن أخلاقه، أَنَّهُ يحاول أن يزين الجبال بميزان الذَّهب، فهو طود كقاسيون شامخ عزيز، وبخصائص الذهب الذي لا تعلق عليه

الشوائب، فلا يستحق إلا أن يوزن بميزان الذهب. فكيف نزن الجبال بميزان الذهب؟!!

هؤلاء هم العظماء، صانعو التاريخ، جبال شمٌّ شوامخ، أثبات رواسخ، يُسْتَظَلُّ بهم ولا يستظلون بغيرهم.

من كان يتعرف عليه لا يلبث أن يندم لأنَّهُ لم يتعرف عليه منذ سنين طويلة، ويتحسَّر على السنين والأيام واللحظات الَّتي مرَّت من دون أن يكون الدكتور **عادل العوا** شريكاً فيها، أو جزءاً منها...

كان من يجلس إليه محادثاً أو مستمعاً يسرقه الوقت من دون أن يدري، ومن دون أن يدري يهيمن عقله الباطن على ساحة الشعور، ويقنعه باللامنطق قبل المنطق أن ما مضى وقت قصير لا ساعات تناهبت مسافات الزمن سراعاً فبدت وكأَنَّها لحظات، فيتمنى بالشعور واللاشعور ألا ينتهي اللقاء، وألا تسرع عقارب الدقائق والساعات، يتمنى أن تتوقف سيالة الزمان، وأن تتجمد عقارب الساعات...

كان... وكان... وكان... كان ذلك كله، وكله بعضٌ، فرصٌ متاحة للمعرفة المباشرة والتجريب. وصار ذلك كلُّه، وأيُّ بعضٍ الآن كلٌّ، ميزات لمن عايش الدكتور **عادل العوا** وعرفه حقَّ المعرفة، وحق ملكية هذه الميزات غير قابل للانتقال بأي حال من الأحوال. لأن الشُّعور يشرح ولا ينقل، يفهم ولا يُعاش، ولا يمكن أن يشترى ولا يمكن أن يباع...

وصار ذلك كله كله بعد اليوم ذكرى أعطر من العطرة لا ينضب نبع تجددها، ولا يخفُّ فوح عبقها ولا يخبو شذاها، لأنَّ حاملها هو التاريخ عمود الزمان، وعمود الزمان بشموخ الطود وصلابة السنديان. والعظماء وحدهم من

يؤطرون شموخ الطود وصلابة السنديان بنعومة أوراق الورد، وعبق البنفسج وفوح الياسمين.

رحمك الله يا أستاذنا فأنت أهل لكلِّ رحمة من الله تعالى.

علمتنا في الدَّفاع عن الفلسفة أنَّ بعضهم ينتقد الفلسفة بأَنَّها كالمجرة الَّتي تتناثر عنها الكواكب وتتباعد... لتبقى وحيدة بلا أولاد!! وقلت لنا إنَّ هؤلاء تناسوا أو نسوا أنَّ الأم الولود معطاء، وأن الأم الصدوق لا تريد لأبنائها أن يظلوا أطفالاً ملتصقين بحضنها، وإنَّما تنميهم وتربيهم كي يصلب عدوهم، ويستدَّ ساعدهم، ويستقلوا عنها... وحَتَّى ولو عقوها فإنَّها لن تشعر إلا أنَّها أمهم الَّتي لن تغضب عليهم...

لم ندر حينها أنك أنت تلك المجرة الَّتي انبثقت عنها مئات النجوم والكواكب... صاروا نجوماً وكواكب في عالم الفكر والسياسة والثقافة والأدب والإعلام... وبقيت المجرة الَّتي تنبثق عنها الكواكب والنجوم والشموس والأقمار... والفرق بينك وبين أيِّ مجرة أنَّ المجرات يمكن أن تتفتت وتتشظى إِلَى كواكب ونجوم، أما أنت فقد ظللت المجرة الَّتي تنبثق عنها الكوكب والنجوم، وظللت أكبر من كل النجوم والكواكب... ظللت الفلك الذي تدور الكواكبُ والنجوم والشموس والأقمار في فضاءاته ومجالاته. ولكن سرعان ما أدركنا ذلك، وأدركنا معه تماماً أن من يريد وصف محاسنك كمن يروم أن يحرك المجرة بإصبعه... البحر لا ينقص إن أخذت منه جداول وأنهاراً، ولا يزيد إن أنت أضفت إليه قطرة... فكيف بالمجرَّة إن أنت حاولت إنقاصها شذرة، أو إكرامها بمحض ذرَّة.

رحمك الله يا أستاذنا فأنت أهل لكلِّ رحمة من الله تعالى.

خسرناك حضوراً جسديًّا وكسبك الزمان. كنت كريماً على الجميع بلا حدود، سخيًّا بالعطاء، بحسن التعامل، بالأخلاق النبيلة... ولكنك بخلت على نفسك بتواضعك الجليل... ولم تقل لنا مرَّة إنك أنت التاريخ... وكنت محقًّا ببخلك هذا على نفسك، فمتى كانت الشمس بحاجة إلَى أن تعرف على نفسها... ومهما قالت الناس في الشمس، هل يمكن أن تكون إلا الشمس؟

عزاؤنا في موت من نحبُّ أنَّنا كلنا ميتون.

ولا عزاء لنا في موت العظماء والمبدعين لأنَّهم كلهم خالدون والآخرون فانون[٤].

(٤) . نشر في صحيفة تشرين . دمشق . الأربعاء ١ كانون الثاني ٢٠٠٣م..

عادل العوّا

قصيدة يرددها الزمان

الدكتور عزت السيد أحمد

إن كان «كفى المرء نبلاً أن تعدُّ معايبه» فكيف بمن تكُّدُّ حَتَّى تنهدَّ ولا تستطيع أن تلتقط له عثْرة أو مثلبة يجوز الوقوف عندها على أنَّها معيبة، وإن جئت تعدُّ محاسنه استغرقك العدُّ حَتَّى تكاد لا تقف عن العدِّ؟!

وحده من عرف **عادل العوا** يعرف أَنَّهُ الموصوف، وأَنَّهُ الموصوف الذي ضاقت عن وصف محاسنه الصفات، وتضاءلت أمام مدحه الكلمات، وبكت فقده الأفكارُ، وضاقت أمام حزنها فضاءات الكلام في كلِّ اللغات، وكأَنَّها ضاعت أو تاهت عن دلالاتها كلُّ المفردات.

وحده **عادل العوا** الذي كنت كُلَّمَا كتبتُ عنه، كلَّمَا أردتُ الحديث عنه... كانت تهيمنُ عليَّ لغة الشِّعرِ، وأنفاس الشَّعر، وأجواء الشِّعر ... كنت أجمع مادَّة البحث، أجهد في تقميشها وتبويبها، وعندما أبدأ تقودني من حيثُ

لا أدري عواطفي، وتفرُّ من ذاكرتي مناهجُ البحث كلِّها، وتتوارى أدواته، حتَّى الاصطلاحات والمفاهيم كانت تحمرُّ وجناتها خجلاً من أن تقف أمامه موقفَ الرَّقيب أو الحسيب... ولا أجد أمامي غير خيالاتِ الشَّاعر وانفعالاته سيَّان أقلت شعراً فيه أم نثراً !!

جهدت مع نفسي لأعرف السبب، وتشعَّبت بي السُّبل، ووجدتني كُلَّما أغذ في السير في واحدٍ منها أرجع إِلَى نقطة الانطلاق من جديد... إِلَى النبع:

ملاكٌ في ثوبِ البَشَرْ

هكذا أراده القَدَرْ

فأين المفر

من الوقوع في أسر حبِّ الملاك

والملاك في أبهى أبهى الصُّور

ظننت حينها أَنِّي وحدي من أراه ملاكاً مفكرًا، ولم أفاجئ بأَنِّي لست الوحيد.

ظننت أَنِّي وزملائي أخذنا به لحداثة السِّن فتتبعت تاريخه من تلامذته من أجيالٍ مختلفة كان منها من بلغ سنَّ التقاعد حينها... ولم أفاجئ بأنَّ الأجيال كلَّها مجمعة على هذه المشاعر تجاهه، وليس من عجب في ذلك أبداً فمعدِن الإنسان لا يتغير... فكيف بمن كان ملاكاً في ثوب البشر؟!

لم تكن مشاعري تجاهه يتيمةً، ولا مشاعر جيلي من تلامذته، لا أبالغ إذا قلت إنَّها مشاعر أجيال سحابة ثلثي قرن من الزمان من تلامذته وطلابه... وأصدقائه وزملائه.

شرفٌ لي أن أكون من تلامذته.

وشرَّفني الزَّمان بأن صرت من زملائه.

وشرَّفني هو ذاته بأن دعاني من أصدقائه.

وشرفٌ لي أن أنوب عن تلامذته في هذا الموقف المهيب الجليل الذي يَكِفُ الدمع بدل أن يكفكفه، ويُخِفُّ الأسى بدل أن يخفِّفه. فإن كان فَقْدُ الأحبة يهزُّ عروش القلوب فإنَّ فقد العظماء يهزُّ أركان العقول، وإن كان فقد الأحبة يزلزل الحاضر والمكان فإنَّ فقد العظماء يزلزل التاريخ والزَّمان... **وعادل العوا** من أجلَّة العلماء والعظماء، ومن ساكني شغافِ القلوب.

عزاؤنا في موت من نحبُّ أنَّنا كلنا ميتون.

ولا عزاء لنا في موت العظماء والمبدعين لأنَّهم كلُّهم خالدون والآخرون فانون.

عندما توفي **أحمد شوقي** ذهب الموسيقار **محمد عبد الوهاب** إِلَى العزاء، وجلس بالمصادفة إِلَى جانب **حسن أباظة** الذي لاحظ حزن **عبد الوهاب**، فحاول التخفيف عنه، فقال **عبد الوهاب**: إنَّهُ خسارة عظيمة. فقال له **حسن أباظة**: حسبك أنَّك قصيدةٌ من قصائده.

إذا أردنا أن نعدَّ قصائد **عادل العوا** فإنَّ الأمر سيطول بنا كثيراً، وكثير من هذه القصائد حلَّقت وتحلق في أجواء العالمية، وكثيرٌ من هذه القصائد تحولت إِلَى دواوين عملاقة، وكثيرٌ منها صار ينابيع إلهام... أليس حسبه هذا فخراً على مرِّ الزمان؟

ذِكـــراكَ فِـــي دُنيـــا البَـــهاءِ لـــواءُ
وجَلِيْـــلُ فِكْـــرِكَ للأنـــامِ دَواءُ

وأصـــــيل نُبْلِـــكَ كـــالمنى ترنيمـــةٌ
يَشْـــدُو بِهـــا مَـــدَّ المَـــدى الشُّـــعراءُ
وأثيـــلُ مَجْـــدِكَ راســـخٌ لا ينطـــوي
مَهمـــا عَلَـــتْ مـــن بعـــدكَ الأســـماءُ
يَـــا عـــادلاً فـــي كـــلِّ أَمْـــرٍ رُزْتَـــهُ
حَتَّـــى تَمَنَّـــى حُكْمَـــكَ الأعـــداءُ
طُوِيَـــتْ بِمَوْتِـــكَ للسَّـــنَى إطلالـــةٌ
وَهَـــوَى عِمَـــادٌ للمنـــى و لـــواءُ
ذكـــراكَ فـــي دُنيـــا الْخُلـــودِ ضِـــياءُ
وَسُـــمُوُّ طَبْعِـــكَ للخَيـــالِ سَـــمَاءُ

عزاؤنا في موت من نحبُّ أنَّنا كلنا ميتون.

ولا عزاء لنا في موت العظماء والمبدعين لأنَّهم كلُّهم خالدون والآخرون فانون(٥).

(٥) . هذه كلمتي التي ألقيتها في حفل تأبينه الذي أقامته رئاسة الجمهورية في المكتبة الوطنية.

رحل الدكتور عادل العوّا

الدكتور رزق إلياس

أعرفه جيِّداً، كنتُ طالباً عنده في جامعة دمشق في السِّتينات، وعملت زميلاً له في الجامعة نفسها في التِّسعينات، وصديقاً ودوداً له في أواخر التِّسعينيَّات، نجتمع في منتدى يتم فيه تناول قضايا الأمن الوطني والقومي، وخلال مسيرة الحياة هذه التي امتدت أربعين سنةً كان قدوتي في معرفته العلميَّة، وفي عطائه ومحبَّته، وفي غيرته على المصلحة العامة، وفي عمق تحليله للماضي ورؤيته الموضوعية للحاضر والمستقبل، كنت أقول له إنني أشعر يا أستاذي وأنا أصطحبك في سيارتي أنني أصعد علميًّا كما نصعد الآن معاً جبل قاسيون، فيجيب بكلِّ تواضعٍ: وأنا أشعر بالسعادة تغمرني وأنا معكم. وأرى في وجهه علامات النبوغ، وفي كلماته دلائل الحكمة، وفي تطلعاته الوطنيَّة والقوميَّة بشائر الأمل بمستقبل زاهرٍ.

رحل عادل العوا رجل القيم الأخلاقيَّة، وكنت قد مازحته مرَّةً قائلاً: «كتاب الأخلاق، الذي هو أحد كتبك في الجامعة، كان من الصعوبة إلى درجة أنني لم أعرف في حياتي الرسوب إلا به»، وكان يجيب مبتسما: «كنتَ تظنُّ أنه سهل الاستيعاب فتأتي إلى الامتحان من دون أن تدرسه». وهذا فعلاً ما كان يحدث.

رحل عادل العوا الفيلسوف الذي كان يقول: «فعلاً المحبة هي سيدة القيم، لأنَّك إذا لم تحب لا تستطيع أن تعطي بسرور، ومن لا يعطي بسرور يبقى عطاؤه ناقصاً».

رحل عادل العوا الرجل الذي عاش تاريخ سورية منذ استقلالها، والذي كانت تجربته تضيء أمام طلابه وأصدقائه طريق الماضي بدروسه المستفادة، وكم كنت أقف أمام العبارة التي كان يرددها: «الشخصية السورية شخصية ميزتها الحضارات السورية المتتالية عبر التاريخ، وهذا هو سر تفوق الانسان السوري أينما ذهب».

رحل عادل العوا عالم الاجتماع الذي كان يقول: «لكل علَّة سبب، وقدر الإنسان أن يبحث عن الأسباب لإزالة العلل، وإلا تخلى عن إنسانيته».

رحل عادل العوا صاحب التوجه القومي الذي كان يقول لنا: « الأمة العربية حقيقة تاريخية بدهية لا تحتاج إلى برهان، ولكنها تحتاج إلى نضال طويل وحثيث لتوحيدها».

رحل عادل العوا المواطن الوديع المعطاء الذي عاش حياة نقية بين الناس، وفاجأه الموت وهو لم يكمل تأليف الكتاب الذي بين يديه، وكأني به أخذ عهداً على نفسه أن يطبق القول المأثور:

«اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً».

رحمه الله وألهمنا السير على خطاه[٦].

(٦) . نشر هذا المقال في صحيفة تشرين . دمشق . الأحد ٢٩ كانون الاول ٢٠٠٢م.

أمام رحيل المفكر الكبير
الدكتور عادل العوّا

الدكتور زهير غزاوي

هل كان رحيل قدري محتوماً؟

كرحيله مصادفة عابرة من الزَّمن لتذكِّرنا بمرور ما يزيد عن أربعين عاماً من عمرنا ذاك الذي وضع مسيرنا على درب الفكر العقلاني في كلِّيَّة الفلسفة بجامعة دمشق. لم يكن **عادل العوا** من أولئك الرِّجال الذين يمرُّون في حياتنا ثُمَّ ننساهم.

مؤسِّس كلِّيَّة الآداب. لا ننسى ابتسامته المشرقة في قاعة المحاضرات في المبنى العتيق للجامعة من قلب المدينة، متِّكئاً على بردى، نائماً في حضن شجرٍ قديمٍ قِدَمَ دمشق، يصافح عيوننا وهي تعبر وجه أستاذنا إِلَى زجاج النَّوافذ، فالحديقة الخلفيَّة الَّتي حضنت شبابنا والحياة تدنو من مغيبٍ حزين.

كان أستاذنا الشَّيخ كنزاً من الفكر الفلسفيِّ تعرَّفنا عليه في مرحلة الأيَّام المتمرِّدة من حياة سوريا ـ الوحدة ـ الانفصال ـ ثورة آذار ـ زمن صعودٍ قوميٍّ ترك بصماته على جيلنا تماماً كما هي مستمرَّةٌ في حياة بلدنا الحبيب...

هادئٌ أستاذنا، كان كنسيم دمشق، لم تفارقه ابتسامته أبداً، رُبَّما كان يعلم وهو يثابر على محاضراته حول القيمة الأخلاقيَّة... أصعب ما واجهنا في الفكر الفلسفي الإنساني، الفكر الفلسفي الإسلامي والمشرقي، إنَّهُ يساهم في توجيه مسار حياة أولئك الشَّباب الذين يواجههم فلم يكن محض محاضرٍ، كان داعيةً إلَى قيم الإنسانيَّة الشُّموليَّة العظيمة... الأخلاق الثَّوابت الخالدة. وظلَّ متحمِّساً لثوابته طوال عمره.

عادل العوا ونحن نشيعه اليوم تماماً كما نشيِّع شبابنا وحياتنا ذاتها يرحل بفخر، إنَّهُ من أولئك الكبار الذين وصلوا إلَى سدَّة العالميَّة، وكتب ونقل إلَى اللغة العربيَّة عشرات من أنفس تراث الإنسانيَّة. لَقَد أمتعنا بفكر أولئك الفلاسفة الكبار الذين أثروا الحضارة الأوربيَّة من فرنسا وألمانيا، ساعده في ذلك اتقانه الرَّائع للغة الفرنسيَّة، وهو خريج جامعة السوربون أعرق جامعات أوربا، ولعلِّي لا أجانب الإنصاف عندما أقرِّرُ أنَّ أجمل ما كتب وأصعب هو كتابه القيمة الأخلاقيَّة، وعبر هذا يرحل القارئ من جوهر الإنسانيَّة وسمو الجانب العقلي الأخلاقي من هذا الكائن الذي ينشر اليوم جبروته ويسعى إلَى تدبير هذا الكوكب؛ كوكب العواصف، أجمل ما خلق اللهُ، وأنبل ما أورثه للإنسان، أحبُّ مخلوقات الله إليه على رغم أَنَّهُ يفسد فيها ويسفك الدماء.

عندما كنا نرى أستاذنا الشيخ يعبر الممرات العتيقة من الجامعة منتصب القامة مبتسماً، ظنَّنا لحظاتٍ أَنَّهُ خالدٌ عصيٌّ على الرَّحيل، ولكنَّ نبأ موته

الفاجع لتلاميذه الكثر أعادنا إِلَى لجَّة الحقيقة المرَّة حقيقة أنَّ لكلِّ شيءٍ نهايةٌ، وأنَّ الخلود هو للفكر والكتاب الذي يحتويه، على رغم إيماننا بالحقيقة الإنسانيَّة أنَّ المفكر أنَّ من الفكر، وأَنَّهُ المغني وليس الأغنية. وكان **عادل العوا** بهذا المعنى خالداً في تاريخ سوريا وقلوب تلاميذه ومُحبِّيه.

لا يمكن لكلمات مشحونة بالعاطفة أن تفي هذا المفكِر حقَّه، فالواجب يحتِّمُ على تلاميذه دراسة ما كتب وعرضه على الناس على رغم قلَّة القرَّاء في زحمة الفضائيَّات الرَّهيبة وهي تدني قيمة الكتب إِلَى المرتبة الأخيرة، ولكن...

ونحن نودِّعُ أستاذنا الشيخ لا نملك إلا زفرة أسى نطلقها، وإلا قطرات من الدَّمع تؤبِّنُ رحيله وشبابنا معاً.

أستاذنا الشَّيخ سلاماً عليك وإلى رحمة الله الفسيحة[٧].

(٧) . نشر هذا النقال في صحيفة الثورة . دمشق . السبت ٢ ذي القعدة ١٤٢٣هـ/ ١/٤/ ٢٠٠٣م. العدد ١١٩٩٠.

عادل العوّا الغائب الحاضر

عبر عوض

منذ أيَّامٍ غَيَّبَ القَدَرُ واحداً من روَّاد فكر العصر الحديث في سوريا، وعلماً من أعلام الفلسفة العربيَّة... الدكتور **عادل العوا** عميد كليَّة الآداب لسنوات طويلة وأحد مؤسِّسي قسم الفلسفة في جامعة دمشق وعضو مجمع اللغة العربيَّة.

قلَّةٌ هم من يستحقُّون الوقوف للرِّثاء... قلَّةٌ هم الذين أعطونا ماء قلوبهم وعقولهم لتنمو عقولنا بعدهم، وتكبر معرفتنا... لكنَّ الدكتور **عادل العوا** أحقُّ النَّاس بالحزن لغيابه، والحق بالاعتراف بفضله. فقد كان الدكتور **عادل العوا** معلِّماً حقيقيًّا، علَّم أجيالاً متتابعةً تقنية الخضوع للعقل والأخلاق والقيم... وكيفيَّة الوصول إِلَى السَّعادة.

ولـد الرَّاحـل الـدكتور **عـادل العـوا** في دمشـق عـام ١٩٢١م، ودَرَسَ في مدارسها حَتَّى نال الشَّهادة الثَّانويَّة عام ١٩٣٨م، سافر بعدها إِلَى فرنسا ليدرس في كليَّة الآداب بجامعة السوربون من عام ١٩٣٨م وحَتَّى عام ١٩٤٥م إذ عاد إِلَى دمشق بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة.

بـدأ حياتـه العمليَّـة في مـدارس وفي دار المعلِّمـين إِلَى أن افتتحـت كليَّـة الآداب والمعهد العالي للمعلمين في جامعة دمشق عام ١٩٤٦م، إذ درَّس فيها، وكُلِّـف بـإدارة المعهـد العـالي للمعلمـين حَـتَّى عـام ١٩٤٩م بعـدها رَأَسَ قسـم الدِّراسـات الفلسـفيَّة والاجتماعيَّة، ورأس إِلَى جانـب عمله الجامعي لجنة التَّربية والتَّعليم في وزارة التَّربية بدمشق حَتَّى عام ١٩٥٥م، ومنذ عام ١٩٦٥م إِلَى عام ١٩٧٣م كان وكيلاً لكليَّة الآداب في جامعة دمشق.

حاضـر ودرَّس في جامعـات عربيَّـة عـدَّة، إضـافة إِلَى جامعـة دمشـق، كالجامعات الأردنيَّة واللبنانيَّة والجزائريَّة والكويت واليرموك.

كنَّا طلاَّبه فعلَّمنا بأسلوبه المتميِّز تناول ومعالجة أيِّ مسألة يبحثها، سواء في التَّأليف أو المحاضرة أو المواد أَو التَّرجمة، ذلك بنقلنا، ببراعة المتبصِّر الخبيرة، مـن فكـرةٍ إِلَى فكـرة، ومـن علـمٍ إِلَى علـمٍ، شـرحاً وتبيانـاً، مـن دون تعقيـدٍ أو غموض.

علَّنـا بالتزامـه كيـف نـربط القـول بالفعـل، والنَّظريَّـة بالعمـل، إذ عُـني بالمباحث الأخلاقيَّة فكراً وتنظيراً، وتَجَسَّدَ هذه المعاني الأخلاقيَّة السَّامية تَجَسُّداً كـاملاً حَـتَّى نكـاد لا نلحـظُ فرقـاً بـين فكـره وواقعـه فبشخصـه تطـابق الْمُبْـدِعُ والْمُبدَع.

دعانا لتحرير عقولنا من المحرَّمات، فالفلسفة برأيه هي السَّاحة الَّتي يحقُّ لنا فيها التَّفكير بحرِّيَّة تفكيراً يسعى لفهم العالم بشكل صحيحٍ ومتجدِّدٍ من دون قيودٍ أَو اعتبارات موروثة.

تبنَّى الاتِّجاه الإنساني المنفتح فربطه بالبحث الدَّؤوب والعمل المتواصل ليضيفَ بإبداعه الفلسفي إِلَى التَّجربة الفكريَّة العربيَّة الكثير، وليرفدَ المكتبة العربيَّة الفلسفيَّة بعشرات الكتب القيِّمة تأليفاً وترجمة ودراسة وبحثاً، وإذا أردنا تعداد كتبه فسيطول ذلك، فقد ترك الدكتور **عادل العوا** ما يزيد على سبعين كتاباً مطبوعاً ما بين تأليف وتعريبٍ، هذا فضلاً عن المحاضرات والمقالات الكثيرة المنشورة في المجلات والموسوعات والنَّدوات.

نذكر من مؤلَّفاته: الفكر الانتقادي عند إخوان الصفا، وكان هذا فاتحة مؤلَّفاته سنة ١٩٤٥م. والمذاهب الأخلاقيَّة، القيمة الأخلاقية، الوجدان، الأخلاق، دراسات أخلاقيَّة، مذاهب السَّعادة، المزاج الحضاري في الفكر العربي. وآخر إصداراته كان كتاب آفاق الحضارة الذي أصدرته وزارة الثقافة عام ٢٠٠٢م.

أما ترجماته فهي غنيَّة أيضاً، نذكر منها فلسفة القيم، نقد الأيديولوجيات المعاصرة، السَّعادة، المدنية؛ سرابها ويقينها، الفكر العلمي الجديد، حوار الحضارات، المعقوليَّة والعلم الحديث.

إنَّ ما ذكرنا يعدُّ غيضاً من فيض، فما قدَّمه الرَّاحل الدكتور **عادل العوا** للفكر والمجتمع تصعب الإحاطة به على صفحات قليلة، وما كان يصبو لتحقيقه أعظم. فقد سُئلَ مرَّة عن أمنياته، فقال: «غنيٌّ عن البيان أنَّ ما أتمنَّاه هو المزيد من تحقيق أهداف التَّعليم المنشورة في نطاق التَّطوير».

كانت دعوته دائماً للتقدُّم والتَّأمل والعمل المجدي لتحقيق رفعة الإنسان والإنسانيَّة، وللنهوض بالوطن.

خسارَةُ الوطنِ فَقْدُكَ... خسارةٌ لنا مغادرتك...

وخسارةٌ للإنسانيَّة رحيلك... لكنَّك ستبقى دائماً الغائب الحاضر[٨].

(٨) . نشر هذا المقال في صحيفة الثورة . دمشق . العدد ١١٩٩٧ . الأحد ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٣م.

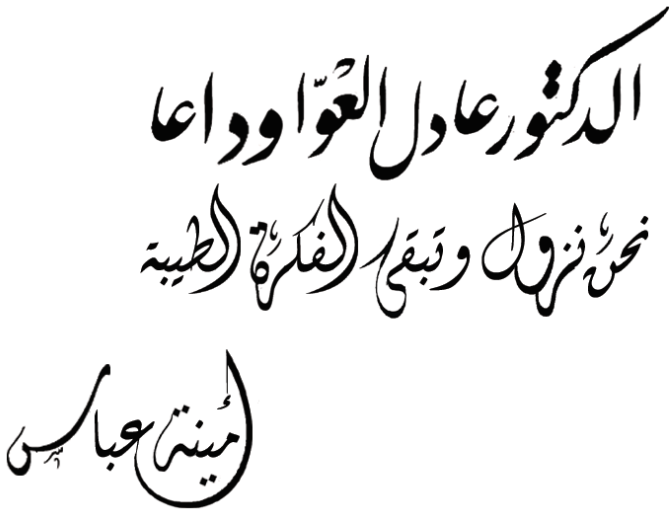

كان أول المكرمين في عهد الدكتور **بشار الأسد** رئيس الجمهورية الذي منحه وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة في ٢٠٠٢/٣/٢٧م تقديراً لإنجازاته في مجال الفكر والثقافة.

وعن هذا التكريم قال في حواره للبعث ٢٠٠٢/٣/١٤م: «هذا التكريم فعل المكرم وأرجو أن يكون فاتحة لتكريم كل من له هذا النوع من الاهتمام الاجتماعي والعلمي والتربوي، وللتكريم قيمة فكرية وأرجو أن يكون فاتحة لتكريم من سيأتي بعدنا أيضاً ممن يستحقونه فنحن نزول وتبقى الفكرة الطيبة».

وحين سألناه أيضاً:

هل صحيح أن الفكر العربي حالياً يمر بخريف عمره؟

أجاب:

«هذا قول كاره للربيع وهو قول لا سند له على الرَّغْمِ من أن الخريف هو في الواقع وبكثير من المناطق الجغرافية العالمية موعد للحصاد».

كان دائماً يردد: «أزمتنا تكمن في شعورنا بأننا دون الآخرين... وما نسميه أزمة هو قضية موقوتة تحدد بمفهوماتها ومقومات الأزمة في الثقافة العربية أننا نقيس أنفسنا، بما هو أحسن منا... ثقافتنا العربية ليست بدعاً في ذاتها وهي لا تخرج عن القوانين الإنسانية ولكنها تبقى ذات خصوصية».

ولد الدكتور **عادل العوا** الذي ودعنا يوم الأحد – عام ١٩٢١م في دمشق ودرس في المدارس الحكومية. وفي عام ١٩٣٨م حصل على شهادة البكالوريا السورية (فلسفة)، وسافر في العام نفسه إلى فرنسا ودرس في كلية الآداب جامعة باريس «السوربون» وحصل على الإجازة ثم الدكتوراه عام ١٩٤٥م وعندما عاد إلى سورية بدأ حياته العملية بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار المعلمين ثم سمي أستاذاً عام ١٩٤٩م في كلية الآداب بجامعة دمشق ودرس في قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية لحين إحالته إلى التقاعد وبعد التمديد عام ١٩٩٠م.

أصبح وكيلاً لكلية الآداب وثم عميداً لها خلال الفترة الواقعة ما بين ١٩٦٥م حَتَّى عام ١٩٧٣م، كما شارك في مؤتمرات ودورات علمية عديدة. أسهم كذلك في أعمال اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية وهو عضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية... حاضر ودرس في الجامعات الأردنية واللبنانية والجزائرية وفي جامعة هلسنكي بوصفه أستاذاً زائراً. كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك وكان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

بلغ عدد مؤلفاته أكثر من ٣٢ مؤلفاً نذكر منها: دراسات أخلاقية- المذاهب الفلسفية- المزاج الحضاري في الفكر العربي- لقاء القيم في الفكر العربي. أما ترجماته فبلغت أكثر من ٤٠ كتاباً. وصدرت له مؤلفات في السياسة والفلسفة والنقد الأدبي والشعر والقصة.

وكانت دمشق قد شيعت جثمان الدكتور **العوا** ظُهْرَ الأحد بمشاركة **هيثم الضويحي** وزير شؤون رئاسة الجمهورية حيث وري الثرى في مقبرة باب الصغير[٩].

(٩) . نشر في صحيفة البعث . دمشق . الاثنين ٣٠ / ١٢/ ٢٠٠٢م.

رحيل عادل العوا المفكر والفيلسوف

والمعلم الذي كان يلقبه طلابه ببرجسون سوريا

صحيفة تشرين

فقدت الأوساط العلمية في سورية والوطن العربي الدكتور عادل العوا، الذي انتقل إلى رحمة الله يوم أمس الأول.

ويعتبر العوا واحداً من أبرز أعلام الفكر العربي المعاصر.. إنه تاريخ بفكره وإسهاماته.

فقد رفد المكتبة العربية بعشرات الكتب القيمة التي أثرت المكتبة الفلسفية العربية بمضمونها الغني والقيم. وكان له الفضل في تأسيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في جامعة دمشق، إلى جانب كونه واحداً ممن أرسوا دعائم كلية الآداب في جامعة دمشق.

كان الدكتور العوا على مدى سنوات طويلة، وسيبقى محط اهتمام من يقدر العلم والفكر، وقد احتل مكانة مرموقة بين زملائه وكان موضع احترام وتقدير من تلاميذه وما أكثرهم لما قدمه من نبيل الأعمال في مجال عمله

التعليمي والفكري، فاستحق أن توضع حوله الكتب والدراسات.. ولعل كتاب الدكتور عزت السيد أحمد «قراءات في فكر عادل العوا». الذي نستقي منه مادتنا هذه عن العالم الراحل، يفي الدكتور العوا بعض حقه علينا، إنه حق جيل كامل جدير بوقفة احترام.. فهو مفكر وأستاذ وصاحب مشروع فكري.

فقد انطلق الفيلسوف الدكتور عادل العوا من أن «أول دروس الفلسفة وأهمها على الإطلاق هو احترام الحق والحقيقة أكثر من أي شيء آخر.. ومن يحترم الحقيقة من واجبه ان ينتقد، ومن حقه أن يخالف»..

يقول الدكتور عزت السيد أحمد في مقدمة كتابه: «إن ما قمنا به من جهد في جمع مادة هذا الكتاب وإخراجه إلى المكتبة العربية ليس إلا واجب وفاء لأستاذ جليل ومفكر كبير له فضل عظيم على أجيال كثيرة من المثقفين على امتداد الوطن العربي بما قام به من واجبه التربوي والتعليمي، وبما أمدَّ به المكتبة العربية من آثار ثرة جليلة على امتداد سحابة ستة عقود مضت».

ولد الدكتور عادل العوا في دمشق عام ١٩٢١، ودرس في المدارس الحكومية وحصل على البكالوريا السورية (فلسفة) عام ١٩٣٨. وسافر في خريف العام نفسه إلى فرنسا ودرس في كلية الآداب في جامعة باريس (السوربون) وحصل على الإجازة ثم الدكتوراه من جامعة باريس) آداب/فلسفة/ حزيران ١٩٤٥..

عاد إلىٰ سورية في آب ١٩٤٥، وبدأ حياته العملية بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار المعلمين في دمشق حتى افتتحت كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين في جامعة دمشق عام ١٩٤٦، فسمي فيها أستاذاً، وكلف بإدارة المعهد العالي للمعلمين حتى عام ١٩٤٩، إذ سمي أستاذاً في كلية الآداب،

وترأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية منذ ذلك الحين وحتى إحالته إلى التقاعد بعد التمديد عام ١٩٩٠.

رأس إلى جانب عمله الجامعي لجنة التربية والتعليم في وزارة التربية في دمشق حتى ١٩٥٥/١٢/٢٦.

أصبح وكيلاً لكلية الآداب خلال سنتين ثم عميداً لهذه الكلية منذ عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٣.

شارك في مؤتمرات ودورات علمية عديدة منها: اليونسكو (بيروت ١٩٤٩) وباريس (١٩٥١)، ولدراسة فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي متجدد (الجامعة الأميركية) بيروت (١٩٥٦)، وللمستشرقين (ميونيخ ١٩٥٧) وللفلسفة (كراتشي ١٩٦١) ولتطوير التعليم العالي والجامعي (دمشق ١٩٧١)، وللعلوم الاجتماعية (الجزائر ١٩٧١) وغيرها من الحلقات الفلسفية والاجتماعية.

أسهم في أعمال اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية وهو عضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ومقرر لجنة الترجمة والتبادل الثقافي عن القطر العربي السوري.

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق.

حاضر ودرَّس في الجامعات الأردنية واللبنانية والجزائرية وفي جامعة هلسنكي بوصفه أستاذاً زائراً، كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك.

واكب الدكتور العوا الحركة العلمية الفلسفية والتعليمية وكان فاعلاً ومؤثراً فيها وله الكثير من المحاضرات والمقالات المنشورة في المجلات والموسوعات والندوات، مثل الموسوعة الفلسفية، ومحاضرات وزارة الثقافة، ومجلة الثقافة. من مؤلفاته: الفكر الانتقادي لجماعة أخوان الصفا (بالفرنسية) بيروت ١٩٤٨،

المذاهب الأخلاقية (جزءان) جامعة دمشق١٩٥٨/١٩٥٩، القيمة الاخلاقية جامعة دمشق ١٩٦٠، الوجدان، جامعة دمشق ١٩٦١، التجربة الاخلاقية (جزءان) جامعة دمشق ١٩٦٢، معالم الكرامة في الفكر العربي دمشق ١٩٦٩، الاخلاق جامعة دمشق ١٩٧٥، الانسان ذلك المعلوم عويدات /باريس ١٩٧٧، اسس الاخلاق الاقتصادية جامعة دمشق ١٩٨١، المدخل الى الفلسفة (بالاشتراك) جامعة دمشق ١٩٨٢، المذاهب الفلسفية ١٩٨٧، الفلسفة الاخلاقية ١٩٨٨، مذاهب السعادة ١٩٩١، المزاج الحضاري في الفكر العربي دمشق ١٩٩٢..

أما ترجماته فهي كثيرة تنوف عن الستين.. وقد ترجم لريمون رويه: فلسفة القيم عالم القيم السيبرنتيك وأصل الإعلام، نقد المجتمع نقد الايديولوجيات المعاصرة، الممارسة الايديولوجية. وترجم لكارل يسبرز: نهج الفلسفة عظمة الفلسفة فلاسفة إنسانيون. ولجان كزونوف: دعائم علم الاجتماع السعادة والحضارة. ولشارل لالو: الفن والاخلاق الفن والحياة الاجتماعية. وترجم لهنري آرفون: فلسفة العمل جورج لوكاتش.

ولجورج باستيد: المدنية سرابها ويقينها.. وترجم لروجيه غارودي حوار الحضارات....

من المقالات والمقابلات، التي يتضمنها كتاب الدكتور عزت السيد أحمد ما قاله الدكتور أحمد أبو زايد تحت عنوان: /عادل العوا بين الإبداع الفلسفي والإبداع الاخلاقي/ كتب:

إن الأستاذ عادل العوا باحث أخلاقي انتقادي من الطراز الأول، فيلسوف أخلاقي، فكر في التفكير الأخلاقي، عرض للمذاهب السابقة وفندها،

ويتضح ذلك في معظم كتاباته ودراساته؛ فقد عمل على اتساق توجهه الفلسفي في سبيل فهمه الانتقادي، واقتناعه الفكري، فكان بحق فيلسوفاً ذا ثقافة انتقادية واعية.

وما يميز الدكتور العوا من حيث هو فيلسوف أنه أبدع اصطلاحاته بعد ان أعمل فكره الانتقادي..

وكتب الدكتور خالد قوطرش في (الاسبوع الأدبي) ١٩٩٤ تحت عنوان /عادل العوا كاتب أعرفه/:

من يقرأ مؤلفات د. عادل العوا يشعر أنه يمزج الفلسفة بالأدب، كأنما يريد أن يؤدي الفلسفة ويفلسف الأدب، فصار بحق أديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء، ويخيل أن فلسفته والفلسفة تأمل لاخيال، تقوم على النظرة إلى الوجود بعقل تأملي وواقعية يشوبها شيء من الصوفية الرمزية الميتافيزيقية. وعلى الجملة، فإن فلسفته على قدر ما تهتم بالذات الجماعية البراجماتية، فإنها مزيج من المنطق التقليدي والتصوف الديني الشمولي؛ فشموليته المعرفية وشموليته الروحية تتوازنان كتوازن السماكين في كبد السماء، وقد لقبه طلابه بـ «برجسون سورية»[١٠].

(١٠) . نشر في صحيفة تشرين. دمشق . الاثنين ٣٠ كانون الاول ٢٠٠٢ م.

دمشق تشيع أحد أبرز أعلامها

نصر الدين البحرة

شيعت دمشق ظهر أمس أحد أبرز أعلامها في الفكر والثقافة العالم الموسوعي والمفكر الكبير الدكتور عادل العوا.

وبرحيل هذا الكاتب الكبير تفقد الثقافة في سورية، واحداً من كبار أعلامها، الذين يغادروننا واحداً بعد آخر، في انتظار من يتقدم ليحل محلهم، في زمان قد لا يبدو قريباً، وبامكانات ليس سهلاً أن تتوافر، عند الخلف كما كانت عند السلف .

وقد لفت الدكتور العوا الأنظار إليه مبكراً بنزعته الموسوعية، وقدرته الفائقة في التعليم الأكاديمي وصبره وطول أناته، في العمل الدؤوب مؤلفا ومترجما، حتى نافت كتبه التي ألفها ونشرت على أربعين كتابا، واقتربت كتبه المترجمة من هذا الرقم. وربما كان كتابه «الفكر الانتقادي لدى جماعة أخوان الصفا» وقد وضعه بالفرنسية، وهو موضوع رسالته في الدكتوراه أمام جامعة باريس عام ١٩٤٥، مؤلفه الأول.. ولعل ذكر عنوانات بعض كتبه المؤلفة التي تلت تكفي لإعطاء فكرة عن الهم الفكري . الفلسفي والموسوعي الذي كان يشغل ذهن الدكتور

العوا. من ذلك مثلا: الكرامة في الفكر العربي. الفكر والتاريخ. المذاهب الأخلاقية. الإنسان ذلك المعلوم . المعتزلة والفكر الحر. حقيقة أخوان الصفا. أخلاق التهكم، العلوم الإنسانية وإشكالية التاريخ.

وكان يختار في الترجمة من عيون الفكر العالمي، ككتاب «بنية الفكر الديني في الإسلام» للمستشرق جيب . و«الحرية» لروز ماري موسيه باستيد و«الحرية في عصرنا» لريمون بولان رئيس جامعة باريس «السوربون».

ولم أعرف بين زملاء الدكتور عادل العوا، أو بين أبناء الجيل التالي، من يضاهيه في النتاج الفكري كما وكيفاً، فقد كان غزير الإنتاج المنتقى المجود، المصفى في لغة عربية بليغة راقية وجميلة.

وهكذا فلم يكن غريبا، أن يختار منذ سنوات عضواً في مجمع اللغة العربية، ملتقى الصفوة من اكاديميي سورية وأدبائها ومفكريها.

ولد د. عادل العوا في دمشق عام ١٩٢١ وبعد أن أنهى دراسته الثانوية في دمشق، قصد فرنسا لمتابعة دراسته العليا، حيث نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة. وإذ عاد إلى دمشق، بعد الجلاء، عين مدرسا للفلسفة في دار المعلمين، ومن هناك انتقل إلى تدريس الفلسفة في جامعة دمشق، ثم رأس قسم الفلسفة فيها، ومن ثم اضحى عميداً لكلية الآداب انتخب بعدها عضواً في مجمع اللغة العربية... وقد انتقل إلى رحمته تعالى ظهر أمس الأول الجمعة.

تغمده الله بواسع رحمته واسكنه فسيح جناته[١١].

(١١) . نشر في صحيفة تشرين . دمشق . الأحد ٢٩ كانون الأول ٢٠٠٢م.

آفاق الحضارة في فكر عادل العوّا

رغداء ماردينـي

ضرورة إيجاد استراتيجية تعددية تنظم وجوه التقارب في رهانات الحقبة الحاضرة!... تشير النهضة الإنسانية على التراث القديم في الثقافة الأوروبية لاسيما أنها استعيرت للدلالة على ما يماثل خصائص معناها في ثقافات أخرى..

ومثل هذا التعريف الذي يؤكده **الدكتور عادل العوا** في كتابه الصادر حديثاً «آفاق الحضارة» فإنما قد يعبر عنه باصطلاح " النزعة الإنسانية الأوروبية" التي تدل على مثل أعلى ثقافي وعلى منهج أو طريقة تكوين عقلي تربوي وتعليمي يحكي تقاليد العصر الإغريقي اللاتيني ويبين أن النزعة الإنسانية موقف فلسفي وأَخْلاقي وجمالي يهدف إِلَى اعتبار الإنسان القيمة القصوى الذي يمتح منه التاريخ والمجتمع معناهما..

وانطلق د. عوا في بحثه حول هذا الموضوع ليدخل من خلال الفصل الأول الذي عنونه «بالمطامح الحيوية إِلَى المطمح البيولوجي البشري في ضوء معطيات لازبة في العقد الأخير من القرن العشرين» والتي لابد من أخذها بعين الاعتبار في التطلع الواقعي إِلَى ما يفسح المجال أمام استمرار وجود البشر أحياء في أرضهم وانطلق لتحليل ذلك في ضوء النمو السكاني حتى أوائل القرن العشرين الذي ظل بطيئاً جداً على الرغم من ضروب التقدم التي حققتها تقنيات الحياة، محيطاً بالتحضر السكاني في كل قطر من الأقطار بحسب درجة نموه، إضافة للأسباب البيئية، والمصادر الطبيعية، والغذاء والطاقة، والتلوث، مستنتجاً مدى ضخامة المشكلات التي تنتظر الإنسانية غداً من خلال ذلك، ومن خلال نوعية الحياة الإنسانية البيولوجية التي تتشوه بسرعة كبيرة على الرغم مما يبدو في الظاهر، وبالرغم من اطراد التقدم المادي، الَّتي سيغدو الإنسان في حدود إيقاعها الحضاري اكثر عرضة للخطر.. ومن هنا، نادى الدكتور **عوا** انطلاقاً من خاصية إنسانية الإنسان أن يطمح إِلَى تجاوز الحياة بالمعنى البيولوجي والتطلع إِلَى الأفضل، تطلعاً جوهرياً فردياً واجتماعياً..معرفاً معنى التقدم الأَخْلاقي كما جاء في «معجم علم الأَخْلاق» ومن ثم معايير هذا التقدم من أثر اقتصادي له دور كبير في التقدم الاجتماعي، واثر أَخْلاقي حيث يرقى المرء بالقيمة الأَخْلاقية أكثر من مطالب الحياة البيولوجية والاقتصادية..

وحصر إشكالية التقدم، من خلال ضرب بعض الأمثلة المعلوماتية على إشكاليات التقدم الراهنة وأوضح بعض جوانب عمل الحواس وإمكاناتها، وسبل تلافي أخطارها بالتنظيم القانوني على مستوى الدولة والدول معاً، بما تخلقه ،من ثم، مشكلة «الحاسوب والحريات العامة» «والمعلوماتية والحريات» ضمن إطار

واسع جدا هو إطار التقدم الإنساني اليوم..ومن التقدم والحضارة في فصله الثالث،حدد مفهوم التقدم بوصفه مطلباً يمثل جماع المطامح الإنسانية ..وعرّف الحضارة من خلال نظرة فاحصة إِلَى الثقافة الغربية ليخلص إِلَى أن الحضارة ثنائية موقف ذهني قد تقتصر تارة على البحث الموضوعي والوصف الدقيق الحيادي أو الحيادي نسبياً وعلمياً،أو أنه يلحف على جانب المدح والقدح بتضمين هذا المفهوم دلالات قيمية لاشعورية أو نصف شعورية.. وتطرق إِلَى كواشف الحضارة وأحلامها من خلال سؤال شامل يطفو حين النظر إِلَى جملة الحضارات الإنسانية معاً، حول وجود آمال مشتركة سرمدية حلمت البشرية بتحقيقها عبر عصور حياتها المتصلة ورأت أنها تمثل المثل الأعلى الذي ينبغي أن تتطلع إليه في طموحها نحو حياة أفضل ..و بين أن هذه الآمال ظهرت منذ أقدم العصور، وتم إضفاؤها على الماضي الأبعد أو العصر الذهبي تارة وعلى المستقبل المرتقب والأبعد تارة أخرى.. ومن خلال رصده للطوباويات المضادة التي بدأت إرهاصاتها بالظهور في أواخر القرن المنصرم بين أنَّها تتصف بارتكاس على واقع إنساني مرفوض يتجلى في أحلام تنم عن مطامح لن تتحقق ولكن البشرية تلحف على التعلق بأهدابها والإيمان بقيمتها.. وخلص إِلَى أن الحضارة هي ما يضيفه البشر إِلَى الطبيعة،أية طبيعة في مسيرتهم التاريخية جماعات وأشتاتاً ...وهذه المسيرة تنتج ضروب التغيرات التي يحققها البشر في أنفسهم وفي الآفاق ،وهي ما يشار إليه بألفاظ التقدم والرقي والتطور..ولكن الجانب القيمي من هذه الألفاظ الأخيرة يحمل على استخلاص مفهوم أَخْلاقي غائي الذي يمنح هذه المتغيرات تساؤلها الصحيح بالإسهام في سبيله ورفده.. وبما أن الإنسان هو صانع الحضارة أو غاية المدنية،تراه الماركسية نتاج تطور طبيعي ،هو بآن واحد

تطور مادي واجتماعي، وإنَّ العوامل الاقتصادية لتسيطر على تاريخه وتحدد عصر هـذا التـاريخ... هـذا مـا قدمـه. عـوا مـن خـلال فصـله الرابـع « الإنسـانية والماركسية»، وتعمق في مفهوم «الطبيعة الإنسانية» والعلاقات الاجتماعية، وأشار إِلَى حقيقة المناضل الشيوعي الذي قدم بشكل مشوه،ومن ثم المستقبل الشيوعي الذي لن يكون، برأيي،شيئاً مطلقاً ممتنعاً عن التحول والتبدل.. وأخذ مثالاً بفصله الخامس كاملاً على إنسانية نيتشه «هذا الفيلسوف الفاجعي الذي يؤكد في كتاباته، ويؤيده دارسوه» أن فلسفته امتزجت بحياته وأصبحت قطعة منه،وأنه يتفلسف بكيانه كله ولا يتفلسف نظرياً أو يفكر في مشاكل تجريدية جامدة فقدت صلتها بالحياة.. وفي فصله السادس شرح «إنسانية سارتر» وتجربة (التمقس) في كتابه... إضافة لمعنى الوجود لديه، والعبث الوجودي، والحرية المبدعة، والنية السيئة.. ويذكر **سارتر** في «الوجودية هي إنسانية» من اعترض على قوله في « التمقس» ان الإنسانيين على باطل وأَنَّهُ يسخر من الإنسانية فلماذا يعود إليها؟ ويجيب قائلاً: ان لكلمة إنسانية معنيين مختلفين كل الاختلاف .فقد نقصد بكلمة إنسانية نظرية تتخذ الإنسان غاية،وتجعل منه قيمة سامية.. ويقول **سارتر** أَنَّهُ ثَمَّةَ معنى آخر للإنسانية وهذا المعنى هو في الحقيقة،أن الإنسان موجود أبداً خارج نفسه،وأنه يحقق وجوده بارتمائه هذا وضياعه خارج نفسه.. ويبين أَنَّهُ من التمقس إِلَى التسامي والتجاوز هو درب الوجودية من ذاتية الإنسان الفرد إِلَى إنسانية التحرر والتحقق الشخصي الخاص.. وإِلَى الثورة العلمية،قدم الباحث رؤية «الإنسانية والعلم المعاصر» في فصله السابع، مؤكداً ضرورة أن يعيد الباحثون النظر في مفهوم الإنسان بين الفينة والفينة ويأخذوا باعتبارهم الوقائع الراهنة،والمتغيرات الطارئة،وأن العلم

بالفعل قد أحدث انقلاباً عميقاً في علاقة المعرفة بالعمل، علاقة علم الإنسان بحياة الإنسان وحضارته..وهذه العلاقة واسعة تشمل جميع حقول الفكر والأَخْلاق والاجتماع... وبين أن تقدم العلم لم يقتصر على ميدان المعرفة النظرية بل تجاوزها إِلَى الميدان العملي وبدت آثاره بوجه خاص في نطاق النتائج المتصلة التي تأسر الألباب وتترك أعمق التغيير في حياة الإنسان فرداً وجماعات ..فتحدث الباحث عن القنبلة الذرية،والعلم والأَخْلاق، وأثر ذلك على الحضارة والمجتمعات. وحدد في فصله الثامن مراتب الإنسانية في بحثه عن «الإنسانية والمجتمع الدولي» والتفاوت والتماثل،والمجتمع الشامل،وصوت الضمير الكرامة الإنسانية إِلَى التعاون الدولي حيث أشار إِلَى أن مفهوم الكرامة الإنسانية مفهوم النزعة الإنسانية وأن هذه الكرامة الإنسانية إنَّما تتحقق بأنماط السلوك الراهن الذي يمتح وحيه من صوت الضمير وتميز الواجب كما يتحلى في نشاط الوجدان.. وأشار بالتالي إِلَى قواعد الحقوق الدولية العامة التي تسعى لتحقيق الهدف الإنساني من خلال ما يسمى بالحقوق الدولية أو القانون الدولي.. أما كيف طرح مثالب الحضارة فقد أعطى امثلة منوعة من خلال آراء المفكرين والمثقفين المعاصرين العرب والغربيين، وأتى بإيجاز على بعض نماذج من نقد الناقدين واعتراض المعترضين في وقائع معطيات الحضارة والثقافة في وقتنا المتشوف إِلَى إنجاز أماني القرن الحادي والعشرين..من خلال؛ **فرويد، باستيد، غارودي، مركيوز، رويه، توفلر**...

ومن خلال ثقافة الفرد والأمَّة، انطلق لتحديد معنى الثَّقافة والثَّقافة المضادة في فصله العاشر، ملقياً الضَّوء على التَّغير الثَّقافي ،وثقافة النُّخبة والعامة، والعقائدية التي صارت في أيَّامنا هذه أكثر المقولات شيوعاً وأشدها غموضاً..

وأكد الباحث أن الثقافة المضادة أو الجديدة، تدل على جملة التيارات الفكرية والحركات والتنظيمات المعاصرة التي ظهرت في المجتمعات الصناعية المتقدمة ،وهي تضم صنوف المعارضين الرافضين للحضارة الراهنة بما تنطوي عليه من قيم ومعايير تؤدي إِلَى قمع وكسر يرفضهما الهامشيون والمنبوذون أو المحتجون.. وخلص الدكتور **العوا** في خاتمته إِلَى بعض النقاط الرئيسة في الحقبة الحاضرة تؤكد على : مبدأ الصيانة، الإنسانية، المسؤولية، الاعتدال،الحيطة، التنوع، المواطنه.. إضافة لاستراتيجيات العمل التي تعيد تأكيد هذه المبادئ والاهتداء بها بالفعل في منطوق الأولويات مع كون هذه الاستراتيجيات حتى تحقق مستوى معينا من طموحها تستلزم منظمات و قادة ،وأشكال تنظيم، وتقانات متكيفة مع الغائيات المطلوبة، مضافاً إليها الأولويات الخاصة التي تظهر في العالم وترجمتها للوصول إِلَى تصور استراتيجية تعددية تنظم وجوه التقارب أو يجري العمل على جميع الأصعدة حيال الرهانات العظمى للحقبة(١٢)..

(١٢) . نشر في صحيفة تشرين . دمشق . الاثنين ٧ كانون الثاني ٢٠٠٢م.

في حركة التنوير الوطني السوري

عادل العوّا مؤسساً

أنور محمد

لا شيء أثمن ولا أغلى عند عادل العوا من هذا الذي سميناه (الإنسان) فهو سبب الوجود، وهو علة الوجود، ولا وجود له إلا (بالله) وأن كل ما يوجد فبسبب الله وهو موجود في الله.

كأنَّني ألخص فلسفة هذا الرجل الذي لم يكن في ذهنه وهو يؤسس في نظريته (أخلقة الفلسفة) لقضية العلاقة ما بَيْنَ (الحق) الذي يوجد في الله، وما بين (الخلق) الذي هو بيد الله. لكنه في كل نشاطه الفكري الذي مارسه طيلة حياته كان يعيش هذه المقولة وقد بثها، بثّ سحرها في نصوصه التي كتبها وحتى في تلك التي ترجمها؛ إذ أن (الله) كان حاضراً في كل لحظات تفكيره، وهذا ما جعل نتاجه يتصادم مع (هيجل) الذي رأى فيه في بعض ثنايا (هيجليته) فاشية تشيد جداراً مابين الإنسان وبين الله،لاسيما عند ما

يسلّم وبالمطلق في كتابه كتاب العوا (الانسان ذلك المعلوم) وعلى لسان أحد المتصوفة الإسلاميين بقوله: ما رأيت شيئاً ورأيت الله قبله.

روح وعقل

فالدكتور العوا الذي ورث فلسفة عربية إسلامية، ثم روَّض عقله ومن ثم قلبه عليها، لم يكن يؤمن بفصل الروح عن العقل، فهو كما يرى أن الروح حقيقية، يرى أن العقل كذلك (حقيقة) فعملياته الفكرية ترفض الجدل الهيجلي الذي يسعى إلى تحقيق هذه المعادلة. فالعوا كأنه مع (كانط) في أن كل شيء موجود في ذاته، فمثلما للروح استقلالها أيضاً للعقل استقلاله، لكنهما معاً موجودان من الله، وبسبب الله. وهذا ما جعل (مثاليته) تبقى في بيئتها العربية الإسلامية قوية لها امتداداتها الموضوعية في الوجدان الجمعي للأمة. لقد هجر هيجل، بل أنه اختصم معه ثم لم يجادله. اقترب من ديكارت رغم وجوديته وكأنه كان يرى أن الوعي بفعلي الشك واليقين هو فعل تفكير أي وعي سابق (بالوجود). نلاحظ أن الدكتور العوا كان يحضر كمفكر (تنويري) في سوريته /فمثلما سنرى أنه كان يوطن الأخلاق في الفلسفة، كان يؤسس فعلاً فلسفياً عربياً ذا خصوصية وطنية. وهذه لم نحتفل بها (أنا لست شوفينياً) لكننا لم نحتفل بوطنيتنا. فمعظم من أسسوا المشروع الثقافي التنويري السوري لايزال التراب يغطي إبداعهم سواء كانوا فلاسفة أو أدباء أو فنانين، فمفكر كعادل العوا الذي كانت أبحاثه رياضات روحية، كان يرى في الحق كل صور الاخلاق الاجتماعية؛ الأخلاق التي تفتح الوعي الذاتي بالحرية، وأي حرية؟ حرية المعتقد، وحرية حب الوطن بشرط أن لا نكون عبيداً، فالعبد

ليس له أية سلطة على (الآخر). هذه السلطة التي فيها حرية دائمة، فيها ملكية خالصة لحق التفكير الذي يمنحك حقك، يمنحك (الحق) في أن تؤسس لوطنيتك، لقوميتك.

عادل العوا وفي بعض نتاجه والذي اطلعت عليه يذهب وبمثالية على غاية من الاحتفال بطهرانيتها وبراءتها حَتَّى وعذريتها رغم أنه اختصم مع هيجل، وهادن ديكارت إلى الانقلاب على كل الايديولوجيا التي تمتهن كرامة الإنسان. العوا كان (ثورياً) أكثر من كانط وحتى من (روسو) الذي أعطى الأولوية للاحتفاء بالشعور وبالضمير الإنساني مهما كانت قوة وسطوة المذاهب، ولسبب أن (ضميرنا) تسكن فيه الروح بكل تمدداتها الفطرية، بكل الصور الميتافزيائية التي ولدتها هذه الروح فلماذا نضللها؟ لماذا نعذ بها نعذب الجسد بها؟؟.

الصغير والكبير

الدكتور عادل العوا في قراءاته يشعرنا بأن الإنسان يمتلك الوعي بأفعاله لكنه مستلب، فمثلاً حين يعتبر (أن الإنسان كائن متناقض ومعقد، وهو نهب موزع بين طبيعته ونفسه) فإنه يعني أن الإنسان يدرك بعقله الشر الذي تدفعه إليه نفسه. ثمة تجريد للنظامين الطبيعي والإلهي اللذين يتنازعان الإنسان، تقوم عملياته كاملة في فلسفة الدكتور العوا، فهو يروي عن أبي حيان التوحيدي قوله: أن الإنسان بين طبيعته وهي (عليه)، وبين نفسه وهي (له) كالمنتهب المتوزع فإن استمد من العقل نوره وشعاعه قوي ما هو عليه من الطبيعة، وضعف ما هو له من النفس. من هنا والكلام للتوحيدي وجب على المرء أن يعرف نفسه، فإذا عرف الإنسان نفسه فقد عرف العالم الصغير. وإذا عرف العالم فقد عرف

الإنسان الكبير، وإذا عرف العالمين عرف الإله الذي بجوده وُجد ما وُجد، وبقدرته ثبّت ما ثبت وبحكمته ترتّب ما ترتب، وبمجموع هذا كله دامَ مادام.

وكأن (العوا) بعد أن يكشف سير العملية الفكرية التي هي هنا تفكيك لعلاقة الإنسان بالعالم الصغير، ومن ثم بالكبير يريد أن يقول: أن العلاقة بين الله وبين (العالمين) هي علاقة رمزية نصل إليها بالاستدلال، بالاستقراء العقلي فلا انفصام ولا انفصال بينهما لاسيما إذا كان الاستقراء قائماً على التسليم بوجود الله لكن بالبحث عنه دون التشكيك به فالشك هنا فيه شروع بنفي الآخر، أي زعزعته وحسب تفكير (العوا) فإننا سنذهب الى: ١ نفي الحق، ٢ نفي أزلية الحقيقة، رغم تسليم العوا بأن فكرة (الله) هي موجودة (فينا) لأنه (الله) أزلي ثابت قائم بذاته، ونحن بعض من روحه بل أن روحه (فينا).

العوا في هذه يصطدم طويلاً مع (هيجل)، لكن ما يريحه أنه يتفق فيها مع (كانط) الذي شرح لنا: أن السبب الذي يجعلنا نفكر في العالم تفكيراً علمياً، لا يكمن في كون العالم المادي عالماً رياضياً بقدر ما يكمن في كون العقل الذي يقوم بعملية التفكير يفكر بطريقة رياضية. ومن هنا يصير عند (الدكتور العوا) بل يصعب على العقل عنده أن يفكر بنفي أو بالتشكيك بلا نهائية الله.

الحق حق، والخلق حق، وللحق حق على الخلق، وأنت له لا لكَ.

علم وسعادة

الأخلاق بمفهومها الأرسطي هي توطين للفضائل، وطرد للرذائل، والخير عادة يكون غاية وأي خير؟؟ الخير الذي يراه الله، وما اتفقنا فيه على أنه (خير) مع الله، ومن هذه بالذات يؤخذ على أن الإسلام لم يجئ بفلسفة، لقد جاء بدين، وهذا ما دفع الدكتور **العوا** لأن يطالع الفلسفة من الدين.

ففي بحثه (الإنسان ذلك المعلوم) يسرد وبكثير من التفاصيل حث الرسول العربي **محمد** ﷺ على طلب العلم الذي اعتبره فريضة على كل مسلم ومسلمة بأن تأويل وتفسير هذا (العلم) اختلف فيه (الفلاسفة المسلمون) فالإمام **الغزالي** يعتبر أن (العلم) مطلوب لذاته، وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به وأصل (السعادة) في الدنيا والآخرة هو (العلم). لكن **عادل العوا** في تحديده لما هية (العلم) يرى أن الناس المسلمين اختلفوا في العلم الذي هو فرض على كل مسلم، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة وكل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده، فقال المتكلمون: هو علم الكلام. وقال الفقهاء: هو علم الفقه. وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب، لكن **العوا** يذهب مع **الغزالي** إلى أن الأمر الذي ينبغي أن يقطع به هو: أن العلم ينقسم إِلَى علم معاملة وإلى علم مكاشفة.

وليس المراد بعلم المعاملة إلا علم المعاملة«التي كلف العبد العاقل البالغ بها وهي ثلاثة ١ اعتقاد، ٢ فعل، 3 ترك. أم علم المكاشفة فهو (علم الباطن) وهو غاية العلوم، لأنه نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وهو يقصد به (التصوف) لا سيما أن المتصوفة هم أكثر الفرق إغراقاً في الفلسفة.. مع ذلك فالدكتور **العوا** يرى أن هناك ضروباً شتى لتصنيف العلوم (قيمياً) لدى الباحثين من الفلاسفة والعلماء والمفكرين في الثقافة العربية من أمثال الفارابي وابن سينا وإخوان الصفا وابن خلدون، ويشدد على أهمية دورهم الذي لعبوه في تأسيس الفلسفة الإسلامية، وقد فصل **العوا** بين علمين فيها:

١ . العلم الإلهي الفلسفة بمعناها الأنطولوجي.

٢ . العلم المدني الفلسفة بالمعنى الاجتماعي.

ويبدي بها اهتماماً كبيراً ولاسيما بابن خلدون وبأبي حيان التوحيدي، ويستعين كثيراً ببعض نصوصهما لأنهما أكثر عقلانية في استقرائهما قواعد السلوك الإنساني، وأيضاً لأنهما أسسا فلسفتهما على قراءة الفعل التجريبي العملي وليس النظري فحسب.

خير وشر

الدكتور **عادل العوا** وهو يؤسِّس لمشروعه التنويري، وإن كان في جانب منه ينطوي على أصول (مثالية) إلا أنه وفي قراءته (للسلوك) كمفكر يقوم بتوطين الأخلاق في الفلسفة، كان (يتعقل) فعلي الخير والشر بملامسة واعية للواقع الاجتماعي والسياسي الذي يتحرك بهما هذان الفعلان.

فالفكر العربي الإسلامي حتى وهو في العصر الجاهلي لم يكن فكراً بدائياً متخلفاً. بالعكس كان رغم (فطريته) غنياً بالقيم التي تحض على مكارم الأخلاق، وتحث على تمثلها سلوكاً بالقول والفعل، حتى أن الرسول العربي محمد ﷺ في أحد أحاديثه قال: علموا أولادكم لامية العرب؛ وهي قصيدة للشاعر الجاهلي (**الشنفرى**) لأنها في رأي النبي محمد ﷺ تحض على مكارم الأخلاق، إذاً **فالعوا** في بحثه (مشروعه) الذي استغرق عمره كان يقرأ بعيداً عن منطق الشك عن الشك في مصداقية العربي حين كان خطابه وبالفطرة (أخلاقياً)، وهذا ما ربى عند **العوا** مفهوم أن (العدالة) مطلب أخلاقي، ولا تجوز المسايرة في تحقيقها، وأن النهضة العربية ليست ذاك (السقوط) في حضن التبعية لأي فكر يبعثر ويمزق الخارطة القومية التي كان يتمدد عليها العربي بأخلاقه. ومفهومه للعدل طبعاً ليس ذاك العدل الذي جاء بعد حرب البسوس أو حرب داحس والغبراء. بل العدل الذي جاء رسالة سماوية.

الـدكتور **عـادل العـوا** كـان ينظـر إِلَى العمليـات الأخلاقيـة في واقعهـا الاجتماعي والسياسي الذي ينتجها إنما بمنظور) ديني). هو كان يرى الخلافات السياسية حول (العدالة) والحرية والحق والصراعات الاقتتال الذي ينشأ عنها على أنها بالأساس خلافات حول من الأقوى ومن الأضعف؟.. وكيف يمكن أن تجيء الأخلاق مشرعة قوانينها فتخلي الأقوى والأضعف يمتثلان لأوامرها الملزمة التي تستمد شرعيتها من الوجدان الديني الذي لا بدَّ من أن يرضي (الضمير) ضميرنا فيتحصل الخير الذي يعيد للعقل اعتباره. إذاً العدالة تأليف عقلي/ والعقل بطبيعته يسعى إِلَى الخير أي هو ضد الحس الذي يتغذى من الغرائز التي تدفع بنا إِلَى ارتكاب فعل الشر.

مع أن كل الذين قالوا (بالعدالة) حتى تلك الفرق (الفكرية) كالمعتزلة والخوارج إنما كانوا ينطلقون من مبدأ تحقيق (الحق) الذي يعطي (للخلق) حريته، طبعاً هم اجتهدوا على النص الديني، وربما كان بعضهم ينظر اليه نظرة واحدية، إلا أن (ثورتهم) السياسية على (أخلاق) السلطان ومنذ مقتل (عثمان) كانت ثورة مشوبة بالقلاقل والاضطرابات لكن ما يميزها وهذا ما أكد عليه الدكتور العوا في مشروعه التنويري، أنها كانت صراعاً قام على أرض فكرية عقلنت وطالعت الشر الذي كان يكيده السلطان أو تكيده حاشيته للأمة.

الدكتور عادل العوا كمفكر وعلى طول مسيرته، كان يشعرنا بوطنيته النزيهة، وبغيرته على تراث الأمة، وكأنه كان يكتب لنا نشيداً فلسفياً بالنصر. فهل نشهد؟[١٣].

(١٣) . نشر هذا المقال في صحيفة تشرين. دمشق. السبت ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٣م.

فلسفة التاريخ

علي القيم

الدُّكتور الفيلسوف الرَّاحل **عادل العوا** كان من المفكِّرين العرب القلائل الذين سعوا من خلال دراساتهم وأبحاثهم إلى استجلاء جوانب عديدة ذات أهميَّةٍ في حياتنا الثَّقافيَّة والفكريَّة، ليستشفُّوا منها سُبَلَ السُّلوك الإنسانيِّ والإنجاز الحضاريِّ الشَّامل، وكان في أكثر ما كتب يركِّز على تحليل الأوضاع التَّاريخيَّة ليصل إِلَى ماهيَّة الحدث وغايته، فيرسم بذلك قيمة التَّاريخ، ويدعو إلى استلهامه والإفادة عن عظاته.

من خلال هذا التَّفاعل المتكامل، عرفت الدُّكتور **العوا** وكنت في كلِّ لقاءٍ يجمعنا اكتشف أشياء جديدة في فكره وفلسفته الَّتي تتَّسع نحو آفاقٍ

رحبةٍ، ويكون فيها التَّاريخ ماضياً وحاضراً، ويكون الحاضر ماضياً متَّجهاً بالاستمرار دوماً إلى القادم من الأيام والدُّهور، ويبقى التَّاريخ غذاء الوعي الإنساني، ونسغ الاختيار المسؤول.. أوليس التَّاريخ ميزة الإنسان المنفرد بها من دون سائر كائنات الأرض، والفلسفة ميزته الجديرة بنيل ذاك الامتياز النَّبيل.

كان الدُّكتور **العوا** في كتاباته ودراساته، يرى أنَّ التَّاريخ في أبسط دلالاته، يشير إِلَى معنى أليف قريب من الفهم، وهو معنى الرُّجوع من الحاضر إِلَى الماضي أو معرفة الانتقال من الماضي إِلَى الحاضر، والحاضر سرمد دوماً، فلا وجود لحاضر إلا بالإضافة إلى ماضٍ يسبقه، أو مستقبل يليه ويعقبه... وهو بذلك يغلِّف التَّاريخ، فيقوم بتحرِّي القوانين العامَّة الَّتي تُسَيِّر نموَّ شعب من الشُّعوب، أو حضارة من الحضارات، وسبيله إلى ذلك السَّعي للانتقال من الحوادث والوقائع الجزئيَّة إلى الاعتبارات العامَّة الشَّاملة، وهذا ما يطلق عليه اسم «فلسفة التَّاريخ»... فالتَّاريخ يرجع في جوهره إلى مسألة نفسيَّة.. فإذا أردنا دراسة المسلَّمات المعطاة لنا كالأدب أو الفلسفة أو المجتمع أو الفن.. وَجَبَ التَّساؤل عن الحال المعنويَّة الَّتي أنتجت هذه المسلَّمات، وعن شروط الوسط والزَّمان الأكثر مواءمة لوجود تلك الحال المعنويَّة ، ولا ريب في أنَّ **ابن خلدون** هو الأسبق إِلَى استشفاف دلالة التَّاريخ الفلسفيَّة، فهو لم يحذ حذو الفلاسفة المنطلقين من تصوُّراتٍ غيبيَّة وإنَّما بدأ بدراسة الوقائع الَّتي يمكن البرهنة عليها والتماس عللها، وقد حَدَّدَ

قواعد تاريخيَّة للبحث في تلك الوقائع، ورأى ارتباط بعضها ببعض، ارتباط العلَّة بالمعلول ، وخلص من تحرِّياته الشَّاملة صورة عن أعمال النَّاس وطرائق معاشهم ومنازعهم وحكوماتهم وصناعاتهم، وعلومهم، مما يؤكِّد أنَّ الحضارة عمرانٌ تاريخيٌّ يتطوَّر من حالة كحال البداوة والتَّنقُّل إلى حال الأسرة الحاكمة أو القبيلة، وحال الدَّولة المستقرة في المدن...

الدُّكتور **عادل العوا** لم يقتصر في دراساتِهِ الفلسفيَّةِ والفكريَّةِ علا فلسفة التَّاريخ بل نستطيع القول: إنَّهُ تجاوز ذلك فقام باختراق تخوم الواقع بهدف الإمساك بجوهر التَّاريخ، وإماطة اللثام عن كنهه الثَّابتِ الدَّائم الفعَّال.. لَقَد تَحَسَّسَ في كتاباته الفكرة والرُّوح والعقل والمثل، وغايته في كلِّ ما كَتَبَ الانتقال من تبعيَّة الطَّبيعة إلى الحرِّية، والإحاطة الوافية بحقيقة فلسفة التَّاريخ العام، وهو بذلك يكشف جهود الإنسان، أي الأعمال الَّتي قام بها في الماضي، وغرضه أن يعرف الإنسان نفسه ليعرف طبيعته بوصفه إنساناً، ولذا بات التَّاريخ علماً بالطَّبيعة الإنسانيَّة، أي علماً بالحقيقة الإنسانيَّة، وهذا العلم هو عينه فلسفةُ التَّاريخ(١٤).

(١٤) . نشر هذا المقال في صحيفة البعث . دمشق . العدد ١٢٠١٩ . الثلاثاء ٨ محرم ١٤٢٣هـ/ ١١/ ٣/ ٢٠٠٣م.

عادل العوّا والفكر الأخلاقي

د. محمد الجبر

منذ فترة زمنية قريبة والرغبة المشتركة، لهيئة تحرير /الأسبوع الأدبي/ وكاتب هذه السطور تحث بإنجازه إنجاز دراسة من الدكتور الفاضل المرحوم عادل العوَّا حول أصالته في الأخلاق والقيم الأخلاقية. فالرجل يستحق مثل هذه الدراسة مثلما يستحقها قراؤه. لا سيما وأن الظروف تستوجبها على الساحة الفكرية القومية اليوم.

واليوم، في الواقع شاءت الظروف، أن تعين كاتب هذه السطور على الوفاء بالتزامه باعتباره أحد تلاميذه، لهيئة تحرير /الأسبوع الأدبي/ وهو يقدم مَعْلَماً من معالم الفكر الفلسفي والأخلاقي في سوريا المعاصرة.

والدكتور العوَّا واحد من أبرز المفكرين العرب المعاصرين أغنى المكتبة العربية بالجديد من البحوث والدراسات والآراء الفلسفية والأخلاقية طوال العقود الثلاثة

المنصرمة. واتسمَ موقفه بالنقد، الذي أحياناً كان ظاهراً وأحياناً مبطناً بين نصوص الفلاسفة والمذاهب الفلسفية عبر التاريخ، أو من خلالها، على ما رافق الدور النقدي والأصالة الفلسفية في وطننا العربي من تعثر وضعف بسبب قلة الزاد وغياب الحرية فكانت الرمزية والغموض، في الخطاب الفلسفي واحدة من خصائص النص الفلسفي الأخلاقي.. ولكنها إرهاصات الوعي الجديد على الساحة العربية المعاصرة.

ما اجتمع من البشر اثنان فأكثر، وما خلد إنسان إلى نفسه متأمِّلاً، يشذ إلا وحدث في ذلك نشاط أخلاقي لا يشد عن العناية به من الأسوياء أحد، والأخلاق، على صعيد الفكر، علاقة فهم وسلوك، علاقة وعي يدرك بها الإنسان، فرداً وجماعة، وأقواماً وأمماً، أن للفكر ميزة التقويم. والأخير تقدير شأو أفكار هي أفكار نظرية عملية معاً. فالأفكار النظرية، جُملتها المتسقة، فلسفة والأخيرة تأمل متعمق ينبغي الركون، في آخر المطاف، إلى دعامات ثابتة، تسمى المبادئ. وهذه المبادئ صوى يتوقف الفكر عندها للاستجمام من عناء البحث والاستدلال واستقراء المعطيات الراهنة والجائرة. ولكن المبادئ ليست بالأمر الجامد؟ فهي تتبدل وينال منها الإلغاء أو التحوير أحياناً. وهذا ما يحدث لدى احتكاك المبادئ أو الأصول المجرّدة من نتاج الفلسفة النظرية بالوقائع الأمنية الحسية المشخَّصة. وهذا حقاً هو فعل الفلسفة النظرية أو الأخلاقية التي تترجم أو تسطر لترجمة الفكرة المجردة إلى وقائع راهنة، فتتأثر الأفكار بهذه الترجمة وتؤثر فيها إلى أن ينضج اتساق، ولو كان موقوتاً، فيكون من الاتساق مذهب فلسفي أخلاقي هو جماع كوكبة من الأفكار النظرية العملية معاً.

فالأخلاق إذاً كما يقول أستاذنا تفكير حي متطور لأنه دائب الاتصال بنشاطي النظر والعمل، القول والفعل، وكلا النظر والعمل يجري في زمان هو حياة الفرد بوصفه عقلاً مبدعاً، وحياة الناس بوصفهم أعضاء في مجتمع ذي حياة وتطور. لذا فإن دراسة الأخلاق فلسفياً هي إعمال النظر في الأخلاق العملية أو ما يسميه الدكتور العوَّا (التخلق العفوي). وهذه الفلسفة الأخلاقية النظرية أنجبت مذاهب كثيرة جداً بعضها أسطوري السمة، والآخر ميثافيزيائي المنطلق، وبعضها ديني الجذور والغايات وجلّها عقلي النهج، موضوعي القصد، علمي الزعم، ثابت المطلب، شامل الهدف، ما دامت الفلسفة الأخلاقية النظرية خاصة، والعملية عامة، تتطلع إلى أن تكون كلية، بل مطلقة تجاوز أعراض الزمان والمكان، لتبلغ حقيقة كل إنسان، وحقيقة كل الناس على السواء. فمذاهب الأخلاق النظرية في سياق تاريخ الفكر الفلسفي، لا تكاد تحصى فهي كثيرة. ولكنها تقوم في تيارات. ففي الثقافة الغربية ما جاء به المفالطون قبل سقراط، وما جاء في مدارس (سقراط) و(أفلاطون) و(أرسطو) والأبيقورية والرواقيين ففلاسفة عصري النهضة والحديث كما عند ديكارت واسبينوزا ولينبز وتوماس هوبز ورسو، والموسوعيون، والعاطفيون والمدرسة الحيوية والنطعية والذرائعية والروحانية والوجودية والماركسية وكذلك ما تمثل في الثقافة العربية من أخلاق كما عند التوحيدي والفلاسفة العرب كالكندي وابن سينا وابن مسكويه وكثير من الأبحاث الأخلاقية ذات المنزع الديني المؤثر والمتأثر. يقول لنا عادل العوَّا بهذا الصدد. "وصفوة القول الأخلاق، على صعيد الفكر، وعي وفهم وسلوك، وهي إنقاذ غرض مرموق، ومسؤولية شاملة النظر والعمل، والفكر الأخلاقي الفطري

يستيقظ يقظة تامة بعد نقاهة نوم ولنَعم يقظة عمل لواءها علم جليل، هو علم الحرية"

إذاً حاول أستاذنا أن يمهد الطريق لإقامة أخلاق شخصانية قائمة أساساً على الواقع ونشاطه، وهذا ما لاحظناه من خلال قراءتي لأعماله، إن ذلك كان انعكاساً للوضع الذي عاشه هذا المفكر، وإطلاعه الزخم على الثقافة الفرنسية عامة والدراسات والأبحاث الأخلاقية خاصة، وجعلت من فكر العوَّا متنوراً فاحصاً دقيقاً ومستقصياً عن الحقيقة الموضوعية، هذا حقاً كله انعكس على وعيه العلمي، من هذا كله نلاحظ بأنه أعطى أولوية للناحية العقلية بهدف الوصول إلى المعرفة الخلقية، أي أنه يبني الأخلاق والقيم الخلقية على أُسس عقلية فاعلة، حيث نجد الدليل على ذلك في كتاب القيمة الأخلاقية الذي أشار فيه إلى: "إن القيمة هي نشاط نظام ذهني تلاؤم الوجود ونحن نرجع إليه بأنفسنا حيث نطلق على إنسان نعت خيراً أو شراً، أو نصف سلوكاً بصفة الصلاح أو الطلاح".

هذا فالقيم الأخلاقية إنما هي في الواقع وليدة التنظيم الاقتصادي والثقافي والاجتماعي الذي يعيشه المجتمع، ذلك لأنها تمثل انعكاس للعلاقات الإنتاجية المتغيرة مكاناً وزماناً وبالتالي يصبح من الخطأ، أن يظن أنها تشكل سلوك الطرد، وتحدد اتجاه المجتمع، كما ظن أصحاب المذاهب الأخلاقية الصورية والتقليدية.

حقاً لقد أفادت كتاباته وترجماته معظم الباحثين في حقل الأخلاق والقيم، وبشكل خاص تحت آفاق البحث الأخلاقي الذي انطلق من مذهب الدكتور العوّا القائم في الأخلاق الشخصانية والتي عبر عنها في عديد من كتاباته. والتي تمثل هذه الأخلاق في حقيقة الأمر الفاعلية البشرية.

وهنا ينبغي علينا الإشارة إلى جهودة في هذا الميدان الذي أعطى له تقريباً حياته العلمية ويحمل فيه عدد من الأعمال التي أوضحت طبيعة ما كان يدعو إليه سواء في حقل الترجمة أو التأليف. من أهمها: "المذاهب الأخلاقية" جزءان، "القيمة الأخلاقية"، و"الأخلاق"، "أسس الأخلاق الاقتصادية"، "دراسات أخلاقية"، "الأخلاق والحضارة"، "الفلسفة الأخلاقية" وتوهج ذلك بكتابه "العمدة في فلسفة القيم".

بالإضافة إلى عدد من المقالات في الموسوعة الفلسفية العربية مثل: "أخلاق"، "فضيلة ورذيلة" و"شرف" و"كرامة"، "الطبيعة الأخلاقية"، "فلسفة الأخلاق"، "ومذهب اللذة".

ومن حيث أعماله المترجمة فهي كثيرة فاعتمد عليها كثير من الباحثين العرب في مجال الأخلاق والقيم: فترجم كتاب ريمون رويه في فلسفة القيم. وعالم القيم. كما ترجم عدد كتاب شارل لالو "الفن والأخلاق" وجان كزنوف "السعادة والحضارة" ويوسف كومبز القيمة والحرية وكتاب بول سيزارى حول القيمة. وآخر ترجمة له حول الفكر الأخلاقي المعاصر الذي صدر عن دار عويدات بيروت للمؤلفة جاكلين روس ٢٠٠١.

ورغم ن مؤلفات أستاذنا العوا تكاد تقترب من ترجماته وفي بعض الأحيان تعتمد عليها كثيراً في التأثر بالمفهوم الأوربي في القيم والأخلاق إلا إننا مع ذلك نلاحظ لديه اهتمامات قومية وإسلامية في جلّ أعماله فمثلاً كتابه "حول معالم الكرامة في الفكر العربي"،" من الشرف إلى الكرامة" أو في إطار دراسات عامة مثل القيمة الأخلاقية. حيث نجده يبرز أهمية مفهوم القيمة عموماً، وبقيمة الأخلاق بشكل خاص باعتباره من عظم المحاور أهمية وحيوية في الفكر الأوربي.

وحقاً حاول إبراز تصورات القيمة في الفكر الأوربي إلى ثلاث تمثلت في البداية في الفكر الإغريقي فالقيمة حينذاك كانت تعرب عن قتل أعلى إنساني يحاول المفكرون تحديده من خلال الصلة القائمة بين الطبيعة والعقل. فإذا كان ذاك المثل الأعلى الإغريقي يقوم على الاعتدال وعلى ضبط النفس وامتلاك جوهرها بالذات فإن الفكر الديني في إطار الفلسفة المدرسية المسيحية جعل ذاك المثل متعالياً على النفس البشرية. وبدون شك فإننا نجد رؤية واضحة لموقف الفكر المعاصر من القيمة في مواجهة الطبيعة واحترام قوانينها. وكذلك رؤية أستاذنا العوّا نحو تمثله في الأخلاق الشخصانية التي ترفض كل النزعات الصورية التي حاولت الفصل للأخلاق عن الواقع المعاش للإنسان.

وحين نحاول مراجعة وقراءة فصول القيمة الأخلاقية فسوف نلاحظ بأن الغرض أو الهدف الرئيسي من وراء هذا نجده مشخصاً في بداية القسم الأول والذي وضع له عنوان بتحديد القيمة الأخلاقية وذلك بالإشارة إلى اتجاه الفكر المعاصر الذي يظهر في السير نحو أخلاق شخصانية محاولاً تناول القيمة بشكلها العام وأنظمتها ومحتوياتها بهدف بيان موقع القيمة الأخلاقية، وفي ثنايا القسم الثاني من الكتاب حاول أستاذنا العوّا تحليل معنى العمل الإنساني أولاً وبيان صلته بالقيمة وإيضاح جوهر القيمة ثالثاً بدراسة النية، أي ما كان يعنيني بها، نية الفاعل الأخلاقي وتجيزها عن القصدية أو نية العقل الأخلاقي تلك النية التي ساهم في بلورتها العمل الراهن وتطلعه إلى قيمة مثالية متعالية. وأبرز في القسم الثالث بعض النماذج من فلسفات القيمة الأخلاقية لدى بعض ممثلي تلك الفلسفة من محدثين ومعاصرين. ومن هذا السياق نرى أن هدفه كان يتمثل في أن الأخلاق تستهدف النظر والدراسة للفاعلية البشرية وذلك للكشف عن

المبادئ، القيم التي تحدد السلوك وتساهم في تبريره فهي آخذه بمسألة تنظيم الحياة تنظيماً عملياً، وإلى تحديد هدف التجربة الإنسانية بالنسبة إلى كل إنسان حيث يعتبر الوجود الفرد وجهة نظر معينة لها علاقة على الواقع المعاش وغير منفصلة عنه وتبدو في حالة تأليف يشمل ظروفاً يطبعها الشخص الأخلاقي بطابعه، فتغدو الأخلاق تعبيراً عن ذلك. الشخص الفاعل وبالتالي تتحدد رسالة الأخلاق في معادلة فهم الأشكال المختلفة التي تحقق هذا التعبير.

لذا فإننا نجد الأخلاق بلغة أستاذنا العوّا متميزة عن كافة المعارف التي أنشأها ذلك الكائن الفاعل العاقل وأن موضوعها شامل كلي يتطلع دائماً إلى مراقبة فاعلية البشر جميعاً مراقبة تامة ودقيقة. إن الأخلاق كذلك تتناول الإنسان من حيث أن له وحده ذاتية أو فردية ماثلة في تطوره الخاص، وهذه الوحدة في حقيقة أمرها تتحدد بانخراط إنسان معين في ظروف عالم معين وزمن محدد فيقول:

"أن الأخلاق تبحث بالإنسان الراهن المشخص وتنظر إليه على ضوء واقعه الصحيح نظرتها إلى كائن يبذل جهده لتحقيق توازن بين فاعليات كثيرة تتوزع كيانه وتنهب وجوده".

ومن نافل القول بأن على أساس هذا الفهم انتقد العوّا المدارس الفكرية السابقة لا سيما تلك المدارس العقلية الصورية التي فصلت الأخلاق عن الحياة المعاشة للإنسان" فالأخلاق الميثافيزيقية التصورية أخلاق غريبة عن الواقع بعيدة عن العصر خارجة عن نطاق الوجود. ومقابل هذه الاتجاهات يرى أن القيم الأخلاقية الصحيحة يجب أن تعتبر بمثابة طموح إلى الوجود الإنساني الكامل ولا يسوغ لها أن تغفل امتداد جذور هذا الوجود إلى المجالات الحيوية والتاريخية

والاجتماعية، بل الوجود المشخص يرتبط بحال النسخ والجملة العصبية ارتباطه باللحظة التاريخية والوضع الاجتماعي. فهو أن يقتصر البحث عن الأخلاق حيث توجد واجتلاء آثارها في السلوك الراهن المشخص.

وكما لاحظناه يتخذ موقفاً نقدياً من "علم العادات الأخلاقية" الذي لا يكفي وحده.

وحاول إيضاح ذلك من خلال أن ليفي برول ، المنشئ الأول لذلك العلم الذي صدر بكتاب عام ١٩٠٣ وتحت عنوان "الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية" وأشار ليفي برول إلى أن هذا العلم ليس سوى مرحلة أولى من مراحل الأخلاق ولا بد من أن يكمل "فن أخلاقي عقلي" فالأخلاق العقلية والأخلاق الاجتماعية إنما تتكشف دائماً عن أخلاق مجردة تلزم الشخص بأن يقف موقفاً سلبياً صرفاً ويرى العوّا أنه لا بد من تخطي تلك المذاهب الميثافيزيقية وعلم العادات والأخلاق ما دامت تسعى كلها إلى إقامة منظومة حقوق وواجبات تدعي أنها منظومة موضوعية ذات قيمة شاملة كلية ومنطلقاً في موقفه النقدي من ما قاله ليفي برول في كتابه المشار إليه فوق حيث قال: "ما زلنا في زمن الأخلاق النظرية التي تفكير تفكيراً مجرداً في مفاهيم الخير والشر والجزء والمسؤولية والعدل والتملك والواجب وما شاكلها من التطورات المجردة"

ويشير كذلك أستاذنا إلى "ولا ريب في أن الضمير الذائع يقبل الأخلاق النظرية ويقر تعاليمها إلى حد يكبر أو يصغر لأن هذه التعاليم تخلط في الواقع ملاحظة بعض الحوادث الراهنة بتصورات ميثافيزيقية محضة.

وعلى هذا الأساس فالأخلاق النظرية لا تنطلق من دراسة الواقع الراهن بل تفترض على العكس أنها تعرفه معرفة مباشرة كافية، وتبني هذا الافتراض على

موضوعات نقوم بها في سلوكنا من غير أن نتفحصها وتستجلي أمرها. أولى هذه الموضوعات إن الطبيعة البشرية، فردية واجتماعية، حقيقة واحدة ثابتة لا تختلف في الزمان ولا في المكان، ولذا بهذا المعنى يجوز وضع قواعد سلوك تناسب الطبيعة البشرية عموماً. وهنا يعرض مفكرنا الجليل حقيقة مفادها إن الموضوعة السابقة تساعد –لو حمت –على تأمل الإنسان من حيث هو مفهوماً تأملاً فطرياً مجرداً. فلقد حسب اليونان أنهم أدركوا هذا المفهوم العام المزعوم ولكن تصورهم لا يمثل "الإنسانية" بأسرها، بل يمثل إنسان معيناً، إنسان عرق خاص ومن خاص، "الإنسان الإغريقي"، ولم يتردد "هيجل" على الرغم من حماسته للإغريق، في أن يقول: "إنما عرف اليونان، ولم يعرفوا الإنسان نراه هنا أستاذنا يكشف الجانب العنصري في التفكير الفلسفي الأوربي حيال مقوله الإنسان:

حتى أن مفكروا أوربا في العصر الحديث مذهباً مماثلاً فتصوروا في تفكيرهم الأخلاقي الإنسان من حيث هو كلي واحد بيد أن موقفهم أشبه بموقف علم النفس التقليدي الذي يعتمد أسلوب التأمل الباطني ويقتصر على مجال "الإنسان الأبيض". وإن الدراسات التاريخية اليوم لتطلعنا على واقع أخلاقي كثير التنوع والتعدد.

وفي أحد أطراف البحث الأخلاقي لدى العوّا نراه يربط بين الأخلاق الشخصانية ومفهوم الحرية:

والدليل على ذلك ما يقول: "لذا فمن العبث أن ترفض الأخلاق الشخصانية وننكر أثر الشخص الفاعل، الضمير الأول المتكلم، إن ذلك الرفض يكافؤ إنكار الحرية الإنسانية كلها؟ ويربط كذلك بين القيم والوجود /الأكسيولوجيا والأنطولوجيا/ حيث يتحدث عن مفهوم القيمة فالأخلاق يمكن

تعريفها على أنها طراز من النظر إلى جهد الإنسان في الإعراب عن ذاته في العالم، إنها رغبة تتطلع إلى النظام والاتساق وتهدف إلى فهم السلوك البشري فهماً باطنياً. فالإنسان ما كاد يسيطر على ضرورات التجربة المباشرة ويعيد تأليفها في الذهن حتى شعر بأمنية تدفعه إلى الرغبة في اتساق عام يشمل سلوكه بأسره كما يشمل الاتساق بين وجوده ووجود الأخريين، والاتساق مع النظام الاجتماعي أياً كان شكله بل الاتساق مع الكون الذي يكتنفه من كل جانب".

فهٰذا الموقف الذي عرضه يتضح في الواقع حينما أشار العوّا إلى أن الأخلاق تدعوا إلىٰ اعتناق أسلوب من النشاط يعتبر في جملته أنموذج عمل الإنسان في العالم. فلم تقتصر الأخلاق الشخصانية على طائفة من الأوامر الجزئية الخاصة بل أنها رنت إلى تنظيم البشرية بحسب ارتفاع يهدف إلى غائية شاملة.

إذاً نستطيع أن نرى بأن منطلق دراسة التجربة الأخلاقية إنما يمثل في دراسة الشروط العامة لوجود الإنسان الذي يثبت – ذاته – في العالم. ونجد أن هذه الدراسة لا تنجز إلا إذا رقينا بالبحث إلى الكشف عن الجهد الذي تبذله الذات في سبيل التعبير عن كيانها وعن تحقيق هذا الكيان في الواقع الراهن.

ونجد تكرار لهذا الموقف في كتابات العوّا الأخلاقية لا سيما حينما يشخص مفاهيم التجربة الأخلاقية، ففي مادة "أخلاق" يقول: "الأخلاق في التصور الفلسفي المعاصر تجربة صيرورة تاريخية تستهدف الثورة على الحاضر باسم المستقبل لتغيير ما في آفاق قوم بتغير ما في نفوسهم وما يتجلى في سلوكهم

العمل لتحقيق الصورة المنشودة من إنسان لإنسان إنها ثورة على ما تحقق من أهداف عليا باسم ما يجب تحقيقه ثورة من الواقع باسم القيمة، ثورة كل القيم ذاتها باسم الحرية المبدعة"

وأما عن الوقائع الأخلاقية تظهر التجربة الأخلاقية ويتجلى فيها كثير من وقائع الآداب العامة والأعراف. ففي كتاب "العمدة في فلسفة القيم" بدأ أستاذنا بتمهيد حول القيمة في واقع وممارسة

آمل أن تكون هذه الدراسة الماثلة بين يدينا قد وفرت للقارئ العربي فرصة الوقوف مع مضامين أصالة العوَّا في الأخلاق والقيم. وأرجو أن أكون قد حققت هذه المهمة عبر صفحات /الأسبوع الأدبي/ العربية، وتلك هي فضيلتها على الباحثين والمشتغلين في الحقل الأدبي والفكري من العرب في المشرق والمغرب(١٥).

(١٥) . نشر هذا المقال في صحيفة الأسبوع الأدبي. اتحاد الكتاب العرب . دمشق . العدد ٨٥٨ . تاريخ ٢٠٠٣/٥/١٧م.

الأستاذ الكبير
الدكتور عادل العوّا

فريد جحا

وتتالت الذكريات.... قريبة وبعيدة.. قريبة حتى لتكاد تعيش في القلب والنفس جميعاً حين تعود هذه الأمور إلى مجال العواطف .

وهي بعيدة لأنها ترقى إلى حوالى نصف قرن، أيام كانت الدنيا حلوة نضرة كشجرة مشمش في غوطة دمشق..

ومن وسط الغوطة تلك، وفي مبنى مطل على بردى الذي جرى وصفق يلقى شوقاً حين زاره كما يتلقى رضوان خازن الجنان عباد الرحمن ..

هناك، وآنذاك، أتاح لي الله العظيم، لقاء من سيكون المعلم الحاني الحادب والمتواضع الأصيل، ثم من سيكون من بعد الصديق الصدوق والأخ النبيل الذي ليس لأخوته وصداقته حدود.

وقدم إلينا في اليوم الرابع عشر من تشرين الثاني من عام ١٩٤٦، على أن يكون مدرسنا في مادتي الفلسفة العربية الإسلامية، وفي علم النفس التربوي، كنا ندرس ذلك معاً، قبل الظهر، وبعده، ولم نكن نتعب أو يلم بنا الملل، فلقد كانت المادة الصعبة بين يديه تصبح مادة سهلة، تتلقاها النفس من دون أن تتعب.

في الفلسفة العربية، ذلّلَ لنا صعوباتها، وقد كانت كثيرة، وأعطانا الثقافات التي سبقتها وأثرت فيها، ومن أهمها التراث اليوناني، وفيلسوفه الأكبر أرسطو، الذي كان المعلم الأول، وكان الكندي الثاني، والفارابي الثالث، ثم أضيف إليهما ابن رشد، الذي عرف بأنه الشارح العظيم لأرسطو والذي ترك آثاراً كبيرة وهامة في الفكر اللاتيني ما عجّل بالنهضة الحديثة، وعرف لدى الغربيين بأنه خالق ما سمي «الرشدية» وكان ذلك سبب مأساته، فأحرقت كتبه، ولحسن الحظ كانت نسخ من هذه الكتب قد كتبت من قبل فحفظت لنا، وهي مأساة صوّره، شريطاً للسينما نور الشريف.. ولكن شتان ما بين فيلسوف وممثل، فالفكرة أعمق من ذلك بكثير.

وعرفنا أيضاً التراث المسيحي والهندي، والفارسي الذي كان له الأثر الكبير في تراثنا الفلسفي والعلمي.

وإن أنس لا أنسى يوماً علمت فيه بنبأ وفاته، هناك خشع القلب، و (دمعت العين) وكنا على استاذنا وصديقنا محزونين .

وزادني حزنا، أن حفلة تأبينه لم يبلغني نبؤها إلا بعد حين.. وهكذا حرمت من سماع كلمات تأبينه، كما حرمت من متعة إلقاء كلمة واجب في حقه.

وعندها أقول:

لك في القلب والنفس مآتم وكنت من قبل لم أصدق النبأ

طوى الجزيرة حتى جاءني نبأ فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فيا سيدي

وأستاذي

وصديقي

هنيئاً لك الجنة تعيش فيها بين أترابك وزملائك في أعلى عليين، جزاء وفاقاً لما قدمت من فضل كبير ترك أثره في نفوس طلابك وعقولهم، فكان الفضل، نعم الفضل، فضل العلم والمعرفة، التقى بحضارة عمرها عشرة آلاف سنة(١٦).

(١٦) . نشر هذا المقال في صحيفة تشرين . دمشق . الاثنين ٢٢ أيلول ٢٠٠٣م.

التسامح كما يراه عادل العوا

من العنف إلى الحوار

عادل يازجي

قبل رحيل عادل العوّا ٢٠٠٢/١٢/٢٥ بأيام قليلة ظهر الى الوجود آخر مؤلفاته، وعنوانه "التسامح، من العنف... الى الحوار"، صدر عن "دار الفاضل" في دمشق. وقد لعبت الصداقة دورها في أن أقرأ الكتاب قبل صدوره، وأن أبث الراحل اعجابي بمقدرته الفائقة على البحث والتحليل والتدقيق.

قلت له: "لقد ذكرتُ لصديقنا الناشر، رجل الأعمال السوري أديب الفاضل إن عنوان الكتاب "التسامح" لا يغري القارئ بسبر أغواره، ناهيك عن مدلول الكلمة اللغوي الذي لا يعبر كلياً بل جزئياً عن مضمونه، والهدف المرجو منه". فقال رحمه الله: "أوافقك – بتحفظ – على الشطر الأول، لأننا نعيش عصر التطرف، والمتطرف لا يجذبه إلا ما يجاريه أو يواكبه أو يزيد عليه... انما التسامح – قديماً وحديثاً – هو فلسفة لها عُمُدُها وأركانها. أما الشطر الثاني فأين

وجه القصور عن المرمى؟". قلت: "التسامح يوحي بامتلاك حق تخلّى عنه صاحبه، بينما التسامح في الكتاب هو الحق الأساس، إذ هو اعتراف بوجود الآخر، والآخرين، ورضى بهذا الاعتراف وسلوك يتسق مع هذين: الاعتراف والرضى في آن، أما العنف المتخلى عنه فليس حقاً لصاحبه".

فقال: "السماح والسماحة في اللغة هما الجود"، فقلت: "هذا صحيح لكن الجود هو أيضاً يتضمن في مدلوله التخلي، إذ الكرم أن تجود بما لديك – كلياً أو جزئياً –، وفي الكتاب لا يعتبر العنف حقاً لصاحبه فيتخلى عنه كرماً منه، بل هو خطأ في المطلب الأخلاقي والاجتماعي والديني، لأن الأصل أن يحب المرء غيره حبه لنفسه، وأن يمضي في سلوكه نحوه على هذا الصراط وبالمقدار". فقال رحمه الله: "ولكن لا تنس أن للسماح في "لسان العرب" أكثر من معنى، منها: الجود والكرم، ومنها الموافقة على المطلوب – سمح لي بذلك أي وافقني – والمسامحة: المساهلة، وكلها توصل الى ما رمت الوصول اليه وهو: نفي العنف وتذكير الناس جميعاً بأنهم أخوة".

كان لتلك المحادثة المرتجلة في ذهني هدف مباشر، هو تحريضه كي يغوص في المدلولات الجوانيّة للنص المنقول، باستخدام الأداة اللغوية وما تحمله من إمكان واحتمال، وفي ذلك اكمال لفلسفة اللغة العربية التي ما وفّاها حقها الفيلسوف العربي المصري عثمان أمين، والتي غاص في دهاليزها ابن جني، وابن فارس، فيما استقام حديثاً بالمصطلح الأكاديمي: فقه اللغة العربية، وفتح فيها آفاقاً عظيمة الباحث الدكتور ميشيل اسحق في كتابه المهم: "المعاني الفلسفية في لسان العرب – الفلسفة العربية الأولى".

تبدأ رحلة الكتاب بتتبع النظر الى سلوك البشر الاجتماعي في الصعد كلها، البشر أجمعين، والعرب بعض منهم، نظرة تنوس بين منزعين متباعدين هما: منزع الأثَرة، ومنزع الإيثار، وبجدلهما الدائب، وتفاعلهما اللازب في الواقع الراهن يتضح سلوك الإنسان تجاه الإنسان، بين قبول الآخر والآخرين، أو رفض الآخر، حيث ينشأ التسامح أو اللاتسامح... ويطنب الدكتور العوّا في وصف الحالين، وفي تدرج شدة كل منهما، ويضرب الأمثال على اللاتسامح، ويشير الى ان جلّها مموّه بذرائع شتى يكشف التحليل عن تمازج عنصرها المعوّقة، ولا سيما عنصري الدين والسياسة.

الأثرة إذاً شر ما في الشر. وضدها الإيثار. ويشرح الحدّين المتناقضين شرحاً مستفيضاً، يصل الى ضرورة ابتكار حل يقع موقعاً ملائماً بين الأثرة والإيثار، هذا الحل المبتكر يدعى "التسامح"، والتسامح اعتراف بوجود الآخر والآخرين، ورضى بهذا الاعتراف، وسلوك يتسق مع هذين: الاعتراف والرضى في آن.

وانطلق الدكتور العوّا باحثاً في مجالي الفكر العربي والفكر العالمي، فخصص لكل منهما باباً، بدأ بالباب الأول "في الفكر العربي" محدداً قطبي التقويم حيث تتفاوت القيمة التي يطلقها المرء، أو يطلقها المجتمع، في موضوع يحظى باهتمامها اهتماماً مشتركاً فيؤدي ذاك التفاوت في الحكم الى تباين المواقف ونوسانها بين قطبي تعصب وتسامح. ثم يغوص في تباين المواقف، وتساؤلات الفكر عن الحقيقة العلمية والحقيقة الاعتقادية، ومدى حرية الرأي المحمود والرأي المذموم، وموضحاً ان مجال العلم هو مجال الاحتمال، ومجال العقائد هو مجال القطع، فاختلاف العلماء في ميدان العلم والبحث العلمي

إمكان جائز، والاتفاق ثمة اتفاق حميد، أما اختلاف الرأي بين أهل العقائد أو الايديولوجيات فأمر راهن، واتفاق أصحابه لا محالة موسوم بإحدى سمتي التسامح واليسر، أو التزمّت والعسر. ولا يترك الدكتور العوا الحبل على غاربه، بل يشير أيضاً الى ان ثمة نهجاً آخر لطرح اشكالية التعصب والتسامح في المجال الفكري، ويعني بها وجهة النظر الفلسفية، بل الفلسفية القيمية التي تنطوي على نقد الأفكار وتقويم مدى صوابها أو خطئها، وتقويم الأعمال بإضافتها الى حصيلتها ونتائجها، وعقابيلها، أي بنسبة مرجعيتها الى أغراضها وغاياتها. يقول: "إنما القيمة جاذب ترجيح باختيار وجود ما يراد وجوده، أو اختيار لا وجود ما لا يراد وجوده، وبين الطرفين ساحة تضيق أو تتسع، هي ساحة التسامح، ساحة الإمكان المقبول، ساحة الجواز من دون ترجيح". ذلك ان فاعلية التقويم تنطوي على عاطفة آمرة مواكبة اسمها عاطفة "يستلزم". فهي شعور يصحب كل حكم معياري يعرب عنه صاحبه بالقول أو بالحركة أو بالقدوة والرمز... وقوامه دعوة مضمرة في الغالب، أي قرينة لازبة تشف عن اعتقاد بتخطي التصور الذهني ليمسي عقيدة أو إيماناً. وهذه القرينة تزداد سمتها الآمرة قوة وإلحافاً كلما اشتد الإيمان وعظمت سيادته فعلاً وأصبح تزمتاً أو تعصباً وتطرفاً.

ويجول بنا الباحث في مسائل التسامح والتدين، من البدائيين الى الأسرة فالقبيلة، من سلطة الرجل الزوج الى سلطة الرجل الأب، فالمالك أو السيد، فالحرب في القبيلة الواحدة، حتى الحروب الدينية، ومنها الى التعصب والاستشهاد ومحاكم التفتيش، ومن ثم يتوقف مليّاً أمام حلّ "التسامح" وهو الحل الوسط الأكرم، الذي ولد وسط مخاض أليم، وأسفر عن شأو عظيم في تقدم الفكر البشري، وازدهار الحضارة الإنسانية، فيفرد فصلاً للتسامح الإسلامي...

ولعل كل ما تقدم هو استهلال للخوض في خضم هذه الرؤية العقلية التي يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

من تقابل الحقوق بالواجبات، وتفاعلهما، تتكون علاقات تشد الناس بعضهم الى بعض، وتتيح تقدير أفعالهم في ضوء القيم المشتركة بينهم، والمقررة في مجتمعهم، بل السائدة فيه، وهنا ينبثق امكانان في هذا التقدير: امكان السلوك المنفتح المتسامح المعترف بالذات والآخر، المعترف بالآخر اعترافه بالذات، ثم السلوك المغلق المتزمت الكاره سواه، وربما الكاره نفسه وجلاّدها في بعض الأحوال.

ويصوغ الباحث فكرته بمقاربة دينية فكرية فيقول: "يترتب على الشخصية الإنسانية السوية فهم الكائن وما ينبغي أن يكون، ولا مناص لأفاضل الناس من أن يقوّموا، في وجودهم وفعالهم، الامكانات الإنسانية المتاحة لهم تقويم اختيار عقلاني على الدوام، وبهذا الاختيار يرجحون عملاً على عمل، وسلوكاً على سلوك، وقد يكون اختيارهم العقلاني ذا صفة دينية الرجحان، ويعرف اصطلاحاً عندئذ باسم التكليف، أو يكون اختياراً عقلانياً بترجيح انساني المنطلق، فيكون اختياراً نقدياً، اختياراً ذاتياً بشرياً أو دنيوياً، وكلا الاختيارين سلوك راهن يعدّ التسامح في إطار الثقافة العربية الإسلامية قيمة مرموقة أبداً".

التكليف في الاصطلاح الزام ما فيه كلفة، ومناطه في الثقافة الإسلامية الإيمان بالله تعالى وببلوغ دعوة الرسل، وثمة من يستعيض عن هذا البلوغ باستطاعة العاقل أن يستدل بالمصنوعات الكونية على وجود صانعها، فإذا رقى فكره لإدراك ذلك وجب عليه ما يجب على من بلغته دعوة الرسل، وقد ذكر أبو

البقاء في "الكليات" أن: "أكثر المحققين يرون ان التكليف بما لا يطاق غير جائز عقلاً وسمعاً، لأنه عبث"، ولقوله تعالى: "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها".

التكليف ينوس بين قطبين: أحدهما أقصى الايجاب وهو الفرض، أو ما أمر الله تعالى به على وجه اللزوم، وتاركه مستحق العقاب، والآخر هو أقصى المنع، وهو المحظور، أي ما نهى الله عنه وفاعله يستحق العقاب، وبين هذين القطبين تقع ساحة الأفعال المتوسطة الشأو، فثمة الأقرب الى الواجب وهو المسنون، والأقرب الى الممنوع وهو المكروه، وفي وسطهما فسحة المباح، وهي ميدان التسامح والمساهلة، وحدّه ما ليس في فعله ثواب، ولا في تركه عقاب.

ويغوص الدكتور العوّا في أعماق الرؤى الفقهية، متسلحاً بالعقل والنقل معاً، مبيناً الحدود القصوى المتطرفة سلباً وايجاباً، وما بينهما، من الأقرب فالأقل قرباً، الى الوسط وفسحته... يقول اعتماداً على رأي الفقهاء: "إن كان الحلال بيّناً والحرام بيّناً، فإن النشاط الفقهي لاستشفاف الحكم الديني بما يقع بينهما هو الاجتهاد، والاجتهاد طريق مواءمة الوقائع المتجددة في تغير الحياة بالأصول الثابتة في الشرع، وهو نشاط موصول يبرع فيه العلماء الراسخون إذ يدركون حكم الجديد في ضوء القديم إما بنص أو إجماع أو قياس أو استصحاب... إلخ. أما سائر الناس فهم المقلون الذين يربكهم تعارض الأدلة لحل لبس المتشابهات. والمتشابهات محل اختلاف الأحكام لاختلاط الحلال بالحرام، ومن المشهور في الأثر ان اختلاف الأئمة رحمة، وفيه رجحان تقدير اليسر على العسر، والتساهل على التشدد، والتسامح على سواه".

وفي هذا المنحى يشير الى بعض التفصيلات الشرعية مما يطرحه مسعى تكيّف المكلّف مع ظروفه الشخصية والمجتمعية وفق الأحكام الشرعية الآمرة

الناهية، ولا سيما تلك التي تتيح ألا يأخذ نفسه، ولا يأخذ غيره من ثم، بالعَنَتِ والحرج والعناد والعسر، والاتجاهان كلاهما ماثلان سرمداً، ويورد مثلاً ابن حزم الذي ينسبه الى "صرامة هي أقرب الى الشدة والعسر"، وأبا حامد الغزالي الذي يفصح في كتابه "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" عن تبرّمه من ضيقي الصدر والمتعصبين الذين يسارعون بإلصاق وصمة الكفر بالآخرين، ويجد من المعاصرين من يذهب الى التسامح مذهب الشيخ الإمام محمد عبده مثلاً وهو القائل: "هلا ذهبت الى ما اشتهر بين المسلمين، وعرف من قواعد أحكام دينهم، وهو إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر، فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولاً لا يحتمل الإيمان من وجه واحد من مئة وجه؟ إذا بلغ به الحمق هذا المبلغ كان الأجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه الى النار".

ويذكر آراء عدد من المفكرين والباحثين المسلمين الذين امتدحوا اختلاف البشر في معتقداتهم منطلقين من الآية القائلة: "لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم". وقد فهموا من هذه الآية ان اختلاف الناس في معتقداتهم خير، وأنه من سنَّة الله تعالى في خلقه.

وبقول آخر: يقر مع أولئك المفكرين والفقهاء بأن التسامح الديني تسامح بقبول صنوف أخرى من الإيمان أو من المؤمنين، وهو واجب لأنه أمر واضح صريح جاء في القرآن الكريم، وهو فرض على المسلمين، وواجب يلزم المسلمين

بألا يرغموا أحداً على ترك دينه واعتناق الإسلام، حيث يقول تعالى: "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" يونس ٩٩. أي أن هذا ليس بمستطاع لك، ولا من وظائف الرسالة التي بعثت بها أن تُكره الإنسان على الإيمان. وعلى هذا المبدأ أقام المسلمون صلاتهم، بأهل الأديان الأخرى سلماً وحرباً.

الفصل الرابع من الباب الأول خصصه لمناقشة الحلول الفلسفية في الثقافة العربية الإسلامية حيث يورد تفاصيل جمّة عن الإيمان الديني وبعض نظراته الى مشكلة التسامح واللاتسامح، والى نوسان تعاليم الإسلام بين تفسير المتزمتين وتفسير المياسرين، مبيناً رجحان جانب التسامح والتوسعة والمساهلة بالاستناد الى فهم النص الإيماني فهماً مؤيداً بالاجتهاد والاستدلال والمناظرة والحوار. ثم ألمح الى حل آخر لمشكلة التسامح واللاتسامح لا يعتمد الحل الديني بمثل اعتماده الفكر العقلي المنطلق مباشرة من تفحص الوقائع الطبيعية، الإنسانية والكونية، واستخلاصه بالقوة العقلية سبل السلوك الإنساني حدود قيم النظر والعمل، وعقابيل التقيد أو اللاتقيد بمفهومات الحقوق والواجبات.

الباب الثاني من الكتاب خصصه للتسامح في الفكر العالمي، ولعل رحلته في هذا الباب مع فلاسفة أو مفكري الغرب من أهم الأبحاث المستخلصة في طبيعة الوجود الإنساني، فهو لا يترك مسألة إلا ويناقشها: التقليد، العنف، الإيحاء، التعاطف، الصلاح والتسامح، اللاتسامح، الاضطهاد... الخ. وهذه المسائل يناقشها من خلال رحلة مكثفة ومعقدة لآراء المفكرين الغربيين البارزين في تاريخ الفكر الإنساني لكنها ممتعة للعقل، بل تشكل راحة له في خضم الفلسفات الإنسانية، لأنه يبين كيف انحرفت الدول والامبراطوريات وراء العنف

تارة باسم الدين، وأخرى باسم المصالح، وثالثة ورابعة... وبالمحصلة كان اللاتسامح اضطهاداً ذا صبغة دينية، أو سياسية مغلّفة بإهاب ديني.

رحل الباحث الفلسفي الدكتور عادل العوّا عن دنيانا قبل غزو العراق بثلاثة أشهر تقريباً، وكانت التهديدات الأميركية تتصاعد متواكبة مع بدء الاستعدادات العسكرية، والمقاومة العالمية لها تزداد، وكان الشك مختلطاً باليقين في إمكان حدوث الغزو... لكن ملامح الثور الهائج كانت شبه مكتملة، ولم يمهل الأجل المحتوم فقيدنا لوصف الدوافع الذاتية المحركة، التي تهيج الدوافع الأخرى المعلنة، الى جانب الدوافع المستنتجة الواضحة، الاقتصادية، وفلسفة القوة المهيمنة، والمصالح الشخصية، لا سيما بعد أن ثبت بطلان الحجج المعلنة بوجود أسلحة الدمار الشامل، وفرض الديموقراطية بقوة السلاح[١٧]...

(١٧) . نشر في صحيفة الحياة . لندن . العدد ١٤٨٦٦ . في ٧/ ١٢ / ٢٠٠٣م الموافق لـ ١٣/ ١٠ / ١٤٢٤هـ.

عادل العوّا
بين السياسية والأخلاق

د. عماد فوزي شعيبي

نعلم أن هذه المادة من النوع الصعب حتى ليصدق أحياناً أن الفلسفة كما الرياضيات لا يفهم لغتهما إلاّ أصحاب الاختصاص ، ولكن ليعذرنا القارئ لأن موضوع السياسة والأخلاق بالصورة التي تُعرض بين بعض المثقفين أو السياسيين تبدو تفتقر إلى العمق المطلوب في كثير من الأحيان ، الأمر الذي يجعلنا نحاول تقديم مادة تتناول الأمر في عمقه بعيداً عن التبسيط الذي يضر في هذا المجال أكثر مما ينفع.

صحيح أنه من المطلوب أن تُقدم المادة الصحافية بأبسط لغة ممكنة حتى يقرأها ويفهمها ويتعامل معها استفادة الأكثرية من القراء ، لكن المسائل الإشكالية المعقدة تحتاج أحياناً إلى أن تُكتب بلغتها ، وحسبنا أنن لا نكتب

دائماً بهذه اللغة ، فلا نثقل على قارئنا دائماً ، لكننا تقدم بين الحين والآخر مادة الهدف منها رفع مستوى تناول القضايا الإشكالية:

بيني وبين أستاذي الراحل الدكتور عادل العوا، ثمة مفاصل من الفكر تجمعنا تأملاً وقبولاً واختلافاً، وأهمها مسألة القيم وعلاقة الأخلاق بالسياسة.

فالقيمة التي طالما كتب عنها باعتبارها تُشتق من (القيام) بمعنى العزم أو بمعنى المحافظة والإصلاح أو بمعنى الوقوف والثبات، أي التوقف في الأمر من غير مجاوزةٍ له، والاستقامة بمعنى الاعتدال والعدل.

لكنها في الفكر المعاصر الذي يقاربه العوا لكل ما له شأوٌ في التصور وفي العقل لدى أفراد وجماعات ، وجودٌ بمعنى جديد. هي وجود جديد يواكب معناه الوجود ينجم عنه طراز جديد من التفكير الفلسفي يراد تسميته بصيغة علم مستحدث تحت عنوان الأكسيولوجيا وهي علم القيم أو فلسفة القيم أو نظرية القيم؛ ذلك أن مفهوم القيمة مفهوم نشاط ذهني يتصور أمر ذا شأن ويسميه قيمة حيث الأصل الإغريقي لكلمة الأكسيولوجيا يدل على ما هو معنى ثمين أو جدير بالثقة.

والثابت أن الفلسفات الكبرى، كل الفلسفات تتكشف عن أنها فلسفات قيمة، ما دام كل واحدة منها تدعي تقديم قواعد للفكر وللعمل وللسلوك؛ فهي تسعى لتحديد صيغة الحقيقة وخاصة الحكمة، وتميّز الواقع عن ظاهر الواقع أي تحدد الأمرين معاً.

ومن هذا التعريف المعمق للقيم –والذي رسمه العوا– باعتباره مبحثاً لكل ما هو نفيس، يأتي اختياره لكتاب ريمون بولان رئيس جامعة السوربون في باريس تحت عنوان"الأخلاق والسياسة".

ولا زلت أسمع همساته تتردد في أذني بأنه يختار للترجمة ما يود أن يقول. بمعنى التواصل في الحدّ الأدنى مع هذا النموذج من فهم الأمور من زاوية فلسفية ؛ فالفلاسفة يتميّزون بأنهم يمتلكون ذواتهم الفكرية ويرسمون شخصياتهم ، لكنهم –كما لا يفعل أغلب السياسيين– يتقاسمون مع الآخرين الفكر.

تطرح مسألة علاقة الأخلاق بالسياسة نفسها براهنية طالما أننا نتدخل في السياسة بأشكال مختلفة وطالما أنها تفرض نفسها علينا منذ صحونا حتى مماتنا، فالسياسة شأنها شأن الأخلاق تستهدف تكوين نمط معين من العلاقات الإنسانية المعرفة بحدود المعاني، وإقامته والحفاظ عليه والذود عنه وإيضاحه. لكن طبيعة العلاقات التي تعالجها السياسة تختلف اختلافاً كبيراً عن طبيعة العلاقات التي تتناولها الأخلاق، فعلى صعيد الأخلاق تقوم العلاقة بين (من نريد ومن يريد) لكن العلاقات في إطار السياسة تتسم بأنها من جراء طبيعتها الخاصة وبعضها يتحقق لأغراض سياسية.

فجوهر السياسي ماثل في نظام مفروض من علٍ وخارجٍ على جماعة أفراد ينتمون إليه باعتباره خيراً مشتركاً للجماعة وشرطاً لوجودها وبقائها السليمين، عبر استعمال القوة أحياناً، ألم يُعرف لينين الدولة بأنها مُحتكر العنف؟.

لكن استعمال القوة لا يكفي لتمييز الأخلاق عن السياسة؛ لأن استعمال فرد من الأفراد القوة لا يشكل وضعاً سياسياً، بل وضعاً أخلاقياً تحدده خصومة حريتين تتجابهان تجابهاً عنيفاً؛ ذلك أن العلاقات الإنسانية التي تتناولها السياسة ليست علاقة فرد بآخر بل علاقة فرد بجماعة.

من منظور الأخلاق تعاد التسميات التي عهدناها وعرفناها في لغة السياسة ليصبح اسم الأعداء في السياسة هو (الأشرار) كما استخدمه ميكيافيلي وهو موقفٌ أخلاقي بامتياز.

وإذ يجري البحث في تناقض الأخلاق والسياسة، فإنه يناقش الفرضيات الأربع التي توضح ذلك عندما تتغلب الأخلاق على السياسة أو السياسة على الأخلاق أو عندما تنفي إحداهما الأخرى أو عندما تخضع إحداهما للأخرى.

فعندماُ يبحث في الأخلاق بدون سياسة، ُ يتخذ مثال أبيقور؛ حيث العدالة لا توجد وجوداً طبيعياً بل هي مجرد مواضعةٍ نفعية؛إذ أن السعادة القصوى تشترط فقدان الاضطراب ما يطرح التساؤل اللاسياسي الذي يقول لماذا نتعرض للرغبات وللمخاوف الناجمة عن الوجود السياسي، فمن أجل السعادة الأبيقورية علينا أن نتحرر من سجن الأعمال والسياسة، لكن هذا يحيلنا إلى عبث ترفي ، فالأخلاق بدون سياسة وهمٌ أو نقصٌ تدع الإنسان أعزلاً متخبطاً متقوقعاً في عزلة واهية. أما السياسة بلا أخلاق فتبدو مفارقةً بإسرافٍ باعتبارها مجرد اتهام يشنه خصومة سياسة من السياسات لمحاربتها والإجهاز عليها.

صحيحٌ، أن كل تقنية (حتى التقنية السياسية) لا تنطوي بذاتها على دلالة أخلاقية لأنها ضربٌ من ترتيب يجمع دروبَ ووسائلَ مهيأة بغية الوصول إلى نتيجة معينة (فهي أمر حيادي من الناحية الأخلاقية)، إلا إذا أدمجت في سلوك إنساني شامل يمارسه من يمارسه لتحقيق بعض النتائج ، لكن الأمر هنا يخطئ في تقييم الوسائل المرتبطة بالغايات بصورة منفصلة عن فعل استخدامها

مماُ ينشئ هنا ما يسمى بالتقنية السياسية التي تستوجب النجوع من حيث التنفيذ.

وهناُ يقرأ ميكيافيلي بأفضل مما قرأه العرب جميعاً ، إذ ليس ثمة من التأمل المبالغ في إظهار أن التقنية السياسية لا يمكن أن تنفصل عن الأخلاق ابتغاء غاية من الغايات، إذ أن الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها واستعمالها هو هدف تقني أو وسيلة للسياسة بالمعنى الأوسع أو الأخلاق لها؛ فميكيافيلي يبحث عن القوانين المطابقة لطبيعة الأشياء أي لتأسيس جمهورية والحفاظ على دولة وحكم مملكة وتنظيم جيش وقيادة حرب ونشر للعدالة وزيادة للسلطة وهذه القوانين تصدر عن وجود بعض الوقائع مثل طبيعة الإنسان أو طبيعة المجتمعات الإنسانية وطبيعة الأهواء والرغبات وطبيعة العنف والسمة الضرورية للعلاقات التي تربط بعضها ببعض، ولهذا فهو يقر بأن كل سياسي لا يطبق هذه القوانين آيلٌ عمله إلى الإخفاق لا محالة.

وبهذا تكون أفضل قراءة ،غير ساذجة لميكيافيلي، قد تحققت من خلال هذا القراءة الأخلاقية التي تفهم أن ميكيافيل قد حدد أيضاً القواعد العامة لكل سلوك سياسي متمثلة في: أن على السياسة أن تتصرف دوماً كما لو أن البشر كانوا على الدوام خبثاء وأشراراً، وأن القوة ضرورية لنجاح المشاريع السياسية، وأن فن القيادة يتضمن فن الحرب، وعلى هذا يجب على المرء أن يسلك سلوك إنسان وأن يلجأ في معاملته بشراً قادرين على التحلي بالذكاء، إلى القوانين وأن يستخدم القوة والمكر كالثعلب كلما وجد ذلك ضرورياً.

لكن لفتةً تستحق الوقوف في كل تلك القراءة المتوازنة قد سجلت أن ميكيافيل أول من نصح بالاعتدال وبالإنسانية. صحيح أن على السياسي أن

ينتهي إلى الأسوأ لكن من الأفضل ألا يبتعد عن الخير إن استطاع. ومن النافع أن يكون محبوباً ومرهوب الجانب لكن من الأكثر طمأنينة أن يشيد صرح حكومته على الخوف منه على الحب، شريطة أن يعرف كيف يتحاشى الحقد لأن الإنسان يتصرف بالخوف على نحو أيسر من تصرفه بالحب. صحيح أن ثمة استعمال سيء للسلطة القصوى ولكنه استعمال حسنٌ لها عندما تكون ضرورية للأمن ، ذلك أنها وحدها تتيح ضمان أكبر خير للرعايا قدر المستطاع.

وإذا يُستدرك هنا أن مفردات هذه القواعد مستمدة جزئياً من الأخلاق ،فإن القراءة المتزنة لها تراها قواعد تقنية وحسب و ترى أنها تؤلف حساباً غائياً دقيقاً يتكيف مع نوعية الواقع السياسي؛ فهي لا تتصل بغايات سياسية محددة ،وكذا فهي لا تتصل بما ينبغي أن يكون"،وهو تعريف الأخلاق المحض دون معاملات الواقع". فهي تتصل بالواقع وبالقوانين الضرورية معترفين هنا بأن تحليلاً نادراً جداً كتحليل كهذا لميكيافيلي لم يفز بالقبول اليسير كما هو، أي من حيث أنه تعبير مجردٌ أعظمَ التجريد لدى واقعية سياسية حقيقية وأنه كتحديد لتقنية سياسية محضة لاُ تعنى إلا بتفاعل القواعد الطبيعية بين الناس من شأنها أن تصلح في خدمة أية قضية سياسية.

من النادر أن نرى تحليلاً هادئاً وبارداً لميكيافيلي كما هو الحال في هذا السياق ، في وقت اعتبر فيه الباحثون الاستعمال الفعلي لأخبث الوسائل في سبيل بلوغ أو خدمة سلطة سياسية واعتبار الناس كافة أنهم بطبيعتهم شاذون وماكرون هو أمر سلبي، فالمفردات الأخلاقية المتحررة من التقاليد ،التي يستخدمها ميكيافيلي وتحليل الآليات السياسية ولاسيما في إطار العادات الأخلاقية القاسية، يوقع في اللبس لدى السُذج وهنا تنعقد قراءة رصينة

لميكيافيلي الذي ينصح الأمير بأن يظهر التحلي بالفضائل التقليدية، أي بما يعني بداهة أن السلوك السياسي شأنه شأن السلوك القضائي يتعلق بالظواهر الخارجية من سلوك الناس دون النيات وهو شأن الأخلاق بالمعنى الداخلي. لكنه يرى الأمور بعمقٍ أكبر فكل تأويل لفهم قوانين أو تقنيات السياسة مهما كان مضللاً يكفي لتأييد أن أية سياسة حتى تلك التي تنحل إلى تقنية محض لا يمكن أن تتملص من الدلالات الأخلاقية، فالسلوك الميكيافيلي يتنكر بادئ ذي بدء بطرحه علانية لجميع الفضائل الأخلاقية إلا عندما يمكن أن تفيد في سرعة تصديق العامة لخدمة أهداف السياسة ويكون من النافع التظاهر بها.

لكن شرط الوجود الإنساني بالمقابل يكفي لعرض مبادئ أخلاقية لا تمنع مقدمات ميكيافيلي المتشائمة من الإفادة من ينابيع الاختيار الحر والثقة بفعل الإنسان الماهر، فما هو ضروري للخير العام سيعرف بأنه عادل وبوجه عام ما يستجيب لضرورات الطبيعة البشرية وبدون الشعب أيضاً يتعذر في أخر المطاف الحفاظ عليه بشيء من الاستمرار والأمن.

و(اللقطة) التي تستدعي توقفاً مهماً هنا تكمن في القول بأن ميكيافيلي لم يطرح بصراحة مشكلة إيجاد مصلحة الدولة العليا، في حين أنه أجاد طرح عناصرها المقومة، ذلك أنه لا يمكن أن يعتقد بأن ثمة خلافاً حقيقياً بين أوامر السياسة وأوامر الأخلاق، فكلتاهما تصدر في نظره من ينبوع واحد هو الطبيعة الإنسانية وضروراتها، والتأويل يبلغ أبلغ أنواع التأويل؛ عندماُ يقر بأن الخلاف لا يقع بين نظامين من أنظمة القيم المتنافرة، بل يقع داخل تسلسل وحيد للقيم، فالتقنية السياسية تجد نفسها مرتبطة بمفهوم واحد عن الإنسان، الذي يوافق نوعاً من السياسة بالمعنى الواسع مع نوع من الأخلاق. والنجوع هنا يؤلف جزءاً من

الارتباط بالضرورات فأخلاق ميكيافيلي وسياستُه على حد سواء لا تتعلقان إلا بالأفعال، وبالتالي فاللوحة التي يرسمها ميكيافيلي عن الأمير والدولة كما يحب لا ترضي مذهبة الأخلاقي فحسب، بل ترضي عدداً من الأخلاقيين على اختلاف مشاربهم إذ كانوا يرجحون الحرية والأمن على المساواة.

فقد استطاع ميكيافيلي بقلبه الأخلاق المسيحية رأساً على عقب، أن يقيم أخلاقاً جديدة إنسانية أرستقراطية جذرية. والخطأ،ليس خطأ أقل ، إذ حسب الباحثون أن القيم السياسية تتغلب في ضوء هذا الانقلاب على قيم الأخلاق الجديدة وتصبح أساساً لها، فأحياناً لابد من الاعتراف باتفاق الأمرين في أثار ميكيافيلي اتفاقاً تاماً بوحدتهما، الأمر الذي يبين بأن لا وجود بالأصل- حتى عند ميكيافيلي- سياسية بدون أخلاق كما أن الوجود بلا سياسة هو وجود لا إنساني حيادي أخلاقياً ولا يطاق من جهة أخرى، فالاعتدال هو قانون الفضيلة وليست الأخلاق هي التي تنجب الحق بل الحق هو الذي ينجب الأخلاق، والخير والشر هما قيمتان أخلاقيتان، يخضعان لحكم العدل أو الظلم وهما قيمتان سياسيتان، كما أن القول بأن الأخلاق تشتمل على السياسة يتضمن افتراض وجود نظام كلي تكون الأخلاق مبدأه وتكون السياسة عنصراً من عناصره.

إن السؤال الأهم الذيُ يطرح هنا يتمثل بوجود اتصال مستمر في الواقع بين الفضائل السياسية والفضائل الأخلاقية باعتبارها جميعاً تنتمي إلى مبادئ واحدة وتترصع في نظام واحد فأحكم الناس أفضل الحكام، والدولة المثلى علامة على الاتفاق البدهي بين السياسة والأخلاق.

وعلى هذا يمكن حل تناقض السياسة والأخلاق إذا ما تجاوزنا النظر من داخل العلاقات التي تربط إحداهما بالأخرى، فالحل من خارج بتسويغ الروابط التي تؤكد على العلاقة بين السياسة والأخلاق ومنع فهم الأمر سيطرة لإحداهما على الأخرى، بل انتماء كلتيهما وخضوعهما لنظام مشترك يشملهما ويتجاوزهما؛ أي أن الحل لن يوجد داخل دارة السياسة والأخلاق بل في واقع أو لدى كائن قادر على احتوائهما وتجاوزهما؛ أي عبر حرية الإنسان، فهيغل حولهما إلى جزء من الضرورة التي يحيلها للعقل جزء من تجليات التاريخ فالآراء السياسية والقيم ليست سوى لحظة من لحظات التاريخ. وهنا تحقق وحدة الأخلاق والسياسة لكنه يرجع القيم الأخلاقية والسياسية إلى ظواهر عابرة مغلوطة.

وعلى هذا يتم الاتفاق على الإبقاء على التصور بأن الأخلاق والسياسة ماهيتان لا تنحل إحداهما في الأخرى وأنهما تؤلفان نظامين مختلفين بطبيعتها ومن المحال إرجاع أحدهما إلى الآخر لكنهما يندمجان في منظومة عمل متبادل؛ منظومة نوسان بين أنماطها المثالية ، وهنا يتعذر الإقرار بالصفة الجدلية التي تشد إحداهما إلى الأخرى.

كما أنه من المحال أن يوجد نظام سياسي خاص يحمل على ضرورة اعتباره النظام السياسي الوحي القادر على ضمان الوجود الإنساني أو استمرار حياة جماعة من الناس إذ لا توجد دولة كاملة وبالمقابل ينبغي أن يتاح لكل إنسان أن يقبل بحرية الدولة الناقصة التي يختارها بدون أن تتعرض حياته للخطر لا يمكن للإنسان إذا أراد البقاء في الحياة إلا أن ينتمي انتماء ضرورة تامة للدولة، فالسياسة لا تجري إلا مع حرية الأشخاص وأيضاً ضده، فالمادة الأولى

في كل سياسة هي الحرية وهي الحرية المقيدة بحريات الآخرين، إذ أن على كل نظام سياسي قائم أن يجابه مطلباً داخلياً وهو مطلب الحرية وهو لن يرجو العثور على استمراره وسلامته إلا إذا أرضى هذا المطلب كما أن العدالة هي قيمة سياسية.

هكذا نستطيع أن نقول بأننا أمام قراءة رصينة للعلاقة بين الأخلاق والسياسة اختارها العوا متوافقاً معها إلى أبعد الحدود كيما يقول كلمته بطريقة أخرى؛ بدلالة المثاقفة مع الآخرين ذلك أن وحدة الفكر الإنساني هي حقيقة خالصة، وهذا هو الدرس البليغ في دلالات فكر العوا(١٨).

(١٨) .كان من المفترض أن ينشر هٰذا الكتاب في غضون عام ٢٠٠٤م، وقد أرسل لي الدكتور عماد شعيبي هذا البحث لتضمينه في الكتاب، ولا أعرف إن كان نشره بعد ذلكَ في مكان ما أم لم ينشره.

الرؤى الحضارية في فكر عادل العوّا

الدكتور عبد الله أبو هيف

برز عادل العوا مفكراً داعية للأخلاق والقيم، ولا سيما منظومته القيمية القائمة على الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والكرامة منذ كتابه الأول بالفرنسية «الفكر الانتقادي لجماعة أخوان الصفا» (بيروت ١٩٤٨)، وأعاد الاشتغال عليه في كتابه «حقيقة أخوان الصفا» (دمشق ١٩٩٣) لاستخلاص مدى تأثيرهم الفلسفي في تأصيل المعنى والأخلاق والقيم بلوغاً للرؤى الحضارية التي من شأنها أن تسعف الوجود بثراء الروح والنفس، فالأخلاق مطلوبة إزاء هذه المنظومة القيمية المتعاضدة مع مكونات التمثيل الثقافي، ولكن تمثلها وإدغامها في السيرورة التاريخية يستدعي التفريق بين تحولاتها وتمظهراتها وتباين محتوياتها مثل تداخلاتها التهكمية أو توصيفاتها الاقتصادية.. الخ، وقد أمعن العوا

النظر والتأمل الفلسفي في مكونات الفكر الأخلاقي المستند إلى القيم ومبعثه من الوجدان أو التجربة الأخلاقية، وهو ما عالجه في كتابيه الصادرين ١٩٦١ و١٩٦٢. ثم صاغ كتابه المميز والشامل «العمدة في فلسفة القيم» (دمشق ١٩٨٦)، ليدخل في رؤيويته الأعمق من خلال كتابه «الأخلاق والحضارة» (١٩٨٩)، وجاوز تزجية الأمل بالمسعى الأخلاقي إلى معاينة تقلبات الرؤية الحضارية في كتابه «المزاج الحضاري في الفكر العربي» (١٩٩٢). ورأى منافذ الرؤية الحضارية في تلاقي المأمول من «مذاهب السعادة» (١٩٩١) وفي تحقق «تحديث الأسرة والزواج» (١٩٩١) على سبيل المثال، سنداً لابدّ منه لفهم عمليات «لقاء القيم في الفكر العربي» (١٩٩٣).

على أنني سأوجز القول في عناصر الرؤية الحضارية في فكر عادل العوا من خلال مؤلفاته الأخيرة «دروب الهموم والخلاص عربياً وعالمياً» (١٩٩٣)، و«آفاق الحضارة» (٢٠٠١) و«الفضائل العربية» (٢٠٠٢م).

مقومات الرؤية الحضارية

أ الوعي بالتاريخ.

ب مكانة الإنسان في السيرورة التاريخية على الرغم من قسوة اشتراطات الواقع وإكراهاته.

جـ الوجود بالفعل من خلال فاعلية الإنسان في إنتاج المجتمع.

د التحلي بقوام الفعل الوجودي، ولا سيما النزعة الإنسانية ومنظومة الفضائل.

هـ أهمية الاعتمال بالمكونات الثقافية في فهم الحضارة حتى يكاد يصير الحوار الثقافي حواراً حضارياً.

و التنبه لمقومات التمثيل الثقافي وعناصره في فهم سيرورة التقاليد الموروثة الثقافية على وجه الخصوص.

وسأنظر في رؤى حضارية ثلاث فحسب لدى عادل العوا:

مسعى الخلاص

اشتدت وطأة الهموم بما هي ضغوط قاهرة على الذات الإنسانية (الفردية) والقومية (العامة)، ورآها العوا ناجمة عن تنميط العيش من قبل القوى المهيمنة على مقدرات المعمورة لتجعل من تدابير الذرائعية وحججها الكثيرة سبيلاً لمسرى المصالح بديلاً للتواصل الحضاري. وقد سمّاها العوا عن حق وعن رؤية ثاقبة وتمحيص مجدٍ «هموم مجتمع الاستهلاك» التي تغيّب المنظومات القيمية في تضاعيف قوانين السوق. ولا يصدر عن هذه الحال سوى القلق والفزع وربما الذعر والهلع والإحباط مما يندغم بعد ذلك في مكابدة الشدة أو المحنة أو الفتنة أو البلاء (ص١٠).

ووجد امتداد هذا المسرى وتشخيصه في تبديات التمثيل الثقافي في التراث العربي مثل التنوخي في كتابه «الفرج بعد الشدة». بينما مضى الخوارزمي بذكر شدائد الدنيا إلى العناء الوجودي لاستشفاف ضروب المحن والبلايا والهموم (ص١٣).

واستغرق ابن عربي في التجريد الأعمق حين رأى أعظم الفتن في النساء والجاه والمال والولد (ص١٥). وآل الخلاص منها إلى مسلك الحق لمجاوزة كفارات الذنوب (ص١٨).

ولطالما شكا المرء من انسداد الآفاق أمام الرؤى الحضارية للخلاص على أن دروبها وعرة وشاقة إلى الفضيلة والتسامي عن الصغائر، بالاستناد إلى المصابرة

والرجاء والأمل والتماهي مع وحدة الوجود المتأبية على المصالح الذاتية والآنية الضيقة.

ودمغ أكابر المفكرين العرب رؤاهم بالتفاؤل الناهض على القيم الباقية على الزمن كالحب والرضا والصواب والرحمة... الخ. بينما اتجه الفكر العربي الحديث إلى تمثل معوقات سبل الخلاص بنفي الاستلاب أو الاغتراب وإحقاق حقوق العدالة والكرامة والمساواة.. الخ. في متاهة الوجود المفارق للتاريخ واستحقاقاته غالباً، لتفتح كوى الوعي الممتزجة بالممارسة أمام «هموم المثقف العاثر الحظ والكريم النفس» وليصبح درب الخلاص مسعى مفتوحاً أمام عزيمة الإنسان على الوجود الحر الكريم. (ص٢٧).

عاين العوا الخلاص في النظرة العربية من خلال الدين أو المعتقد أو الجهد الإنساني متأسياً للارتكاسات النبيلة، ولقد قصر المفكرون العرب الخلاص بالمعطيات التالية: الخلاص بالتوسل والخلاص بالمحبة والخلاص بالعشق والخلاص بالفضيلة.

ثم تجلت النظرة العالمية بإمعان النظر في دلالات الاغتراب وتحليلها من الانتحار إلى اقتصاد المبادلة إلى الجنون، وقصر الخلاص لدى المفكرين الغربيين على مديين: مدى الخلاص بالعدالة ومدى الخلاص بالضياع لدى اشتداد محنة الوجود على الذات ومعاناتها من الآخر.

معرفة الذات، أفق الحضارة

تتآزر آفاق الحضارة عند العوا في تدعيم معرفة الذات بمعرفة المجتمع ومعرفة التركيبة الحضارية من خلال موازاة التزائي بالوجود، فقد انطلق العوا في الرؤى الحضارية من معاينة مصير النوع الإنساني بالاستناد إلى ثالوث المعرفة المذكور

الذي يضمن تفاعل الأفراد من جهة وتفاعل الجماعات ضمن الوجود الإنساني العام والمشترك من جهة أخرى، على أن المطامح الحضارية الإنسانية «تنبثق من سويداء الواقع الحيوي تطلعاً إلى تخطيه في تقدمها بالفلسفة والعلم شطر مجتمع دولي عادل أو نظام دولي جديد تشفعه أمنية كرامة الإنسان) «ص٧).

ومهّد العوا لهذا التطلع وتحققه بإضاءة معنى الإنسانيات والنزعة الإنسانية للنظر في معضلات الوجود التي تستلزم النهوض بمسؤوليات (الكبار) في «التعاون والتكافل نشداناً لعالم متوازن لا يضمن بقاء النوع البشري وحسب بل يتيح حياة أفضل للبشر كافة» (ص٣٩)، وهذا ما دعاه للتناص مع قول بيير لوبين عن خشية تضييق مدارات الرؤية إلى احتباسها تحت ضغوط المصالح الذاتية، «فإذا امتنع ذلك لن يبقى أمام البشرية بعد قرنين إلا أن تركّب على ازدحامها طوفاً متهافتاً مثل طوف ميدوز» (ص٣٩).

وتلاه لتوضيح مكانة المطامح الحيوية تفريد القول في «طماح التقدم» بتداخلاته من التراثي إلى الوجود،» فالإمكانات الجديدة تثير شعور الاستقلال، ولكن النظم الجديدة لا تلبث أن تلجمه .وكلما حضّ التقدم على الإسراف عمد المجتمع إلى الضبط والتحديد وحتى القمع، وإذ ذاك يمسي التغيير مقبولاً والتقدم بطماحه معقولاً» (ص٧٥). ورهن العوا التقدم بالتحقق الإنساني عندما يطلع التحضر من فعل الإنسان، إذ «يبقى منحى الفاعلية التمدينية أن يلتزم الإنسان بإنسانيته» (ص٩٣).

وأغنى العوا فكرة موازاة التراثي للوجود بتعضيد وعي الإنسانية الماركسية وإنسانية نيتشه وسارتر والإنسانية والعلم المعاصر والمجتمع الدولي، ثم عاين مثالب الحضارة وجدلها في فكر فرويد وباستيد وغارودي ومركيوز ورويه وتوفلر بلوغاً

لتأمل حدود الثقافة والثقافة المضادة وتجلياتها في علائق التغير الثقافي والعقائدية والمستقبلية وثقافة أوقات الفراغ والثقافة المضادة. وجعل رحابة موازاة التراثي بالوجود قابلة لتماهي الخاص مع العام في إرادة البناء المستقبلي المشترك واستيلاد العزيمة. ورسم استراتيجيات العمل وتغير التصورات تدريجياً. ومن شأن ذلك كله استخلاص العبر من الإخفاقات بما يسعف على تحديد مواقيت الآفاق الحضارية خلال مئة السنة القادمة.

فضاء الإنسان سبيل صون الوجود

أمعن العوا في تفصيل القول في معنى الفضيلة سنداً لسيرورة الرؤى الحضارية بوصف الفضيلة، اختياراً وقصداً وفعلاً؛ و«لكل فعل إرادي واع اتسام بمسؤولية تنطوي على ثواب أو عقاب. والسعادة ثواب الفضيلة الأخلاقية. بل هي ما يثاب به الفاضل مثلما الشقاء والازدراء للشرير قصاص)«ص١٢).

ونظر العوا في الفضيلة مكوناً من مكونات التمثيل الثقافي العربي في أبرز تجليات التراث القديم والحديث بحثاً عن ترسيخ قيمتها ووظيفتها وتوضيحاً لخطّة الضّالين المتخلين عنها. وقد كان للعرب في هذا المضمار الإنساني باع طويل «أدلوا فيه بدلوهم الفكري والملي والحضاري التاريخي، وما يزال لهم في هذا النشاط نشاط» (ص٢١)، فنهج نهج الفحص عن القيمة الحق وتقويمه «ودعوة إنسانية للتآزر مع سائر الأمم والأقوام في العمل المشترك نحو الأفضل لسكان كوكبنا المهدد بالعثار والدمار» (ص٢١).

إن ما يحيي الرؤى عند العوا هو الفضائل الكبرى شاملة الفضائل الصغرى أيضاً. وقد أفصح العوا عن حقيقة جليلة مفادها أن الفضائل ذاتها

صنائع الذات في إقدامها على البناء الذاتي في تفعيل المكانة الحضارية لمعنى الوجود بتماهيها مع معنى المعنى الذي يستنبطه المرء، ويجاوز من خلاله عوائق التحقق الذاتي.

وإذا كانت الفضائل تصوراً أفضل للوجود، فإنها مرهونة بتحقق هذا التصور في رحابة الفعل الإنساني وقد عضدتها الإرادة المكينة والعزيمة الصلبة في مرامها الخصيب، وهو ما يكّون فضاء الإنسان في صون الوجود[١٩].

(١٩) . نشر في صحيفة تشرين . دمشق . الأحد ٦ آذار ٢٠٠٤م.

عادل العوّا

أسطورة فلسفية أخلاقية ممزوجة بياسمين دمشق

وسام طيارة

لم يشغله متاع الدنيا وبهجتها، كناسك متعبد بقي مؤمناً واقفاً ومجتهداً أمام بوابة العلم والمعرفة، اختار الثراء الإنساني بتفاؤل الكبار وأغنى الحياة الفكرية بالكثير من الروائع، كطائر متجول حلق بين أدبيات الأخلاق والثقافة والسياسة ليشكل وحدة فكرية خالصة، شغل العديد من المواقع المفصلية في جامعة دمشق، ومنها عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ورئاسة قسم الفلسفة وعلم الاجتماع وكان عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق. له العديد من المؤلفات والإصدارات العربية التربوية والاجتماعية في الفلسفة، وتحديداً في الفلسفة الأخلاقية، كان يؤكد دائماً بأن الأفكار لاتموت بل تتبدل، كان يخاف دائماً على الثقافة العربية من الكسل ومن اللاوعي ومن التباطؤ في اللحاق بالركب لأن

الحضارة والتاريخ سباق فإذا تباطأنا سبقنا، وإذا وقفنا سبقنا وإذا تقهقرنا زادنا تقصيراً على تقصير فإذن لابد للفكر العربي من أن يعي ذاته..

لا أحد من الوسط الثقافي والعلمي لا يعرف الرجل الذي صاغ من الفلسفة أدبيات للحياة وأوجد للقيم الإنسانية فلسفة متناغمة مع الأخلاق، لم يتبنّ أي مذهب فلسفي وكان همّه الارتقاء والعمل على إقامة مشروع شرف أخلاقي، واستطاع من خلال فكره الفلسفي النظيف أن يلغي التعارض القائم بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، بوصف الأخلاق علماً يهدف إلى دراسة السلوك الإنساني، وقد سميت نظريته الأخلاقية بنظرية التجربة الأخلاقية، أو الأخلاق المشخصة، كما دعاها في كتابه " القيمة الأخلاقية". وهذا ما يشير إليه الدكتور عزت السيد أحمد في دراسته عن فلسفة الدكتور العوا " إن أول ما تجدر الإشارة إليه في مؤلفات الأستاذ الدكتور عادل العوا هو تلك الروح الموضوعية الحقيقية التي تبدو جلية في كتاباته، والأمانة في نقل أفكار وآراء المدارس والاتجاهات الفلسفية المختلفة، دون ما تعصب لرأي أو اتجاه، وهذه صفة قلّ أن نجدها لدى كثير من الباحثين الذين يجنحون بدوافع شعورية أو لاشعورية إلى قراءة أفكار الآخرين بما يتفق وميولهم وأهوائهم، وقلّ وندر ما تكون مثل هذه القراءة صحيحة، وبقدر تعصّب الباحث لاتجاهه الفلسفي يكون فهمه للآخرين أبعد عن الحق والصواب."

لقد قدّم الراحل أكثر من ثمانين كتاباً مؤلفاً ومترجماً، ونقل من خلال ترجماته كتلة كبيرة من التراث الإنساني الغربي وأغنى بها المكتبة العربية، وعمل أيضاً على نقد المذاهب الأخلاقية المدرسية الكبرى، كمذاهب أفلاطون وأرسطو

وكانط، واعتبر بأنها تمثل الأخلاق السرمدية الخالدة أكثر من تمثيلها أخلاق زمان معين، أو بيئة معينة .

إن في مقدمة ما أولاه العمل على ترسيخ الاصطلاح الفلسفي في اللغة العربية، وساعده على ذلك امتلاكه ناصية اللغة العربية.

بعد رحلة امتدت مابين عام ١٩٢١- ٢٠٠٢ تكللت بالعطاء والتفاني العلمي والإنساني وجه سيد الوطن الرئيس بشار الأسد بتقليده وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة تقديراً لإنجازاته العظيمة في مجالي الفكر والثقافة..

عذراً.. عادل العوا.. فإنك ستبقى أحد فلاسفة العلم والثقافة وستظل أجيالٌ كثيرة من المثقفين والباحثين والأساتذة الجامعيين العرب والسوريين تزيّن منارة روحك بياسمين دمشق[٢٠].

(٢٠) . منشور في مجلة الأزمنة . دمشق . ٢٥/ ١٠ / ٢٠١٠م.

عادل العوّا

مدونة وطن

يعد الدكتور "عادل العوا" واحداً من أبرز أعلام الفكر العربي المعاصر، حيث رفد المكتبة العربية بعشرات الكتب الفلسفية التي تحكي عن الأدب، وكان فاعلاً ومؤثراً في الحركة العلمية والتعليمية.

مدونة وطن "eSyria" التقت الباحث في التاريخ والتراث "محمد مروان مراد" بتاريخ ٢٠١٣/٢/٢٢ فتحدث قائلا: «للدكتور "العوا" الفضل الكبير في تأسيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في جامعة دمشق، كما أرسى دعائم كلية الآداب في "جامعة دمشق"، وقد بدأ حياته العلمية بالتدريس في المدارس الثانوية، حتى افتتحت كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين، وترأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية حتى إحالته إلى التقاعد عام /١٩٩٠/، وأصبح عميداً لكلية الآداب منذ عام /١٩٦٥/، حتى عام /١٩٧٣/، كما أسهم في أعمال اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، وهو عضو مجمع اللغة العربية في دمشق، وحاضر في عدد من الجامعات الأردنية واللبنانية والجزائرية، حيث واكب" العوا" الحركة العلمية والفلسفية والتعليمية، وكان فاعلاً ومؤثراً

فيها وله الكثير من المحاضرات والمقالات المنشورة والموسوعات في مجال الفلسفة، مثل "الموسوعة الفلسفية"، وما يميز الدكتور "العوا" أنه أبدع اصطلاحاته بعد أن أعمل فكره الانتقادي في الفكر والفلسفة».

وأضاف: «انطلق الدكتور "عادل العوا" من أن أول دروس الفلسفة وأهمها على الإطلاق هي احترام الحق والحقيقة أكثر من أي شيء آخر، فمن يحترم الحقيقة من واجبه أن ينتقد ومن حقه أن يخالف، فيما كان أهم ما تحدث عنه "العوا" مسألة التراث والمعاصرة، فرأى أن البلبلة والجدل الذي لا طائل منه يكمن في الكثير مما يثار حول التراث، فنحن ننهل بصورة طبيعية من معين التراث العربي الإسلامي، ومن علومه وآدابه، ونستفيد من كنوزه، ما يغني حياتنا ويطور مجتمعنا ويجدد علومنا، كما ننهل من التراث العالمي الإغريقي والروماني والهندي وسوى ذلك، ونستفيد من الفكر الحديث والمعاصر، ولا عجب في ذلك، لأن مصادر المعرفة متعددة، ولا يمكن للعالم أن يكون عارفاً ما لم يكن على اطلاع واسع وثقافة متنوعة، والتراث عندنا واسع جداً، وهو ما يجعل مسألة التراث لدى الكثيرين مشكلة».

وأضاف: «إن "العوا" يرى عدم وجود أي مشكلة في ذلك، خاصة أن في تراثنا جانبان يخلط بينهما بعض الباحثين وهما الجانب الديني الإلهي، وهو عنوان الأخلاق ومصدر الهداية والجانب الفكري والعلمي الذي ينقسم إلى مجالات كثيرة، فالجانب الديني جوهرة الحث على طلب العلم وبث الهداية والسعي لمكارم الأخلاق والمساواة والحرية والتعاون والتكاتف الاجتماعي، ومن منا يكره هذه المبادئ، ومن منا لا يستجيب لهذه الحوافز؟! أما الجوانب الأخرى

فينبغي أن نستفيد منها ونتصرف بها، لا أن نجعلها تتصرف بنا، وهذا هو الفرق بين أن نمتلك التراث، وأن يمتلكنا التراث.«

وحول أهم ما تناوله "العوا" يؤكد الباحث في التاريخ والتراث "حسن الصواف " في مقابلة مع مدونة وطن: «إن من أبرز ما تناوله فكر "العوا" اللغة التي رأى أنها رهينة التطور، وكذلك اللغة العربية، فلا مجال لإنكار التطور فيها، أياً كانت مواقف اللغويين منه، ولكل لغة خصائص ومزايا يمكن أن تقسم إلى : ذاتية داخلية تتعلق بطبيعة اللغة نفسها، وخارجية زمنية بيئية تتعلق بتقدم المجتمع والعلوم وتنوع البيئات المكانية، ففي الخصائص الذاتية رأى أن العربية لا تجارى في دقتها وطواعيتها وسعتها وغنى تراثها، وما فيها من إمكانات التوالد الاشتقاقي والتغير الدلالي والنقل المجازي، أما في الخصائص الخارجية فالأمور لا تمس اللغة نفسها لسبب يرجع إليها، بل لسبب يتصل بالعوامل الاجتماعية والتاريخية والبيئية؛ وهذا هو ما جرى للعربية في العصور المتأخرة، إذ توارت عن العلوم وغابت عن ميدان الاستعمال لتقهقر أبنائها وضعف ثقافتهم وتخليهم عن مسيرة التقدم والحضارة، فلا خوف على العربية حقاً ما دام أبناؤها عاملين على خدمتها .«

الدكتور "أحمد أبو زيد" يقول عن فكر "العوا" الفلسفي: «إن الأستاذ "عادل العوا" باحث أخلاقي، قدم عرضاً للمذاهب الفلسفية وفندها، في معظم كتاباته ودراساته، فقد عمل على اتساق توجهه الفلسفي في سبيل فهمه الانتقادي، واقتناعه الفكري، فكان بحق فيلسوفاً ذا ثقافة انتقادية واعية.«

وحول الإسهامات الفكرية والفلسفية للعوا يضيف الدكتور "خالد قوطرش": «إن من يقرأ مؤلفاته يشعر بأنه يمزج الفلسفة بالأدب، كأنما يريد أن

يؤدب الفلسفة ويفسلف الأدب، فصار بحق أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، ويخيل أن فلسفته، والفلسفة تأمل لا خيال، تقوم على النظرة إلى الوجود بعقل تأملي وواقعية يشوبها شيء من الصوفية الرمزية الميتافيزيقية، وعلى الجملة، فإن فلسفته علىٰ قدر ما تهتم بالذات الجماعية البراجماتية، فإنها مزيج من المنطق التقليدي والتصوف الديني الشمولي، فشموليته المعرفية وشموليته الروحية تتوازنان كتوازن السماكين في كبد السماء، وقد لقبه طلابه ببرجسون سوريا.

ولد الدكتور "عادل العوا"، في دمشق عام /١٩٢١/، وسافر في خريف العام نفسه إلى فرنسا ليتابع دراسته العليا في كلية الآداب بجامعة باريس "السوربون"، فحاز الإجازة ثم الدكتوراه عام /١٩٤٥./

عاد إلى سورية في آب /١٩٤٥/، وكان رحيله في كانون الأول ٢٠٠٢، بعد مسيرة حافلة بالعطاء المبدع، فكان جديراً بالتقدير.

ومن مؤلفاته: الفكر الانتقادي لجماعة إخوان الصفا "بالفرنسية" والمذاهب الأخلاقية (جزآن)، الفلسفة الأخلاقية، المزاج الحضاري في الفكر العربي دمشق، أما ترجماته فهي كثيرة تنوف عن /٦٠/ كتاباً[٢١].

(٢١) . منشورة في أواخر شباط عام ٢٠٠٣م، في (مدونة وطن) بقلم إدارة المدونة، ومعظم المقال مأخوذ من كتبنا قراءات في فكر عادل العوا ولٰكن من دون إشارة إلىٰ المصدر.

عادل العوّا
فيلسوف الوجدان والعقل

رانيا الخطيب

ولد عادل العوا في دمشق عام ١٩٢١ ودرس في المدارس الحكومية وحصل على شهادة البكالوريا السورية (فلسفة) عام ١٩٣٨، سافر إلى فرنسا ودرس في كلية الآداب بجامعة باريس السوربون وحصل على درجة الليسانس والدكتوراه من جامعة باريس (آداب – فلسفة).

عاد إلى سورية عام ١٩٤٥ وبدأ حياته العملية بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار المعلمين بدمشق حتى افتتحت كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين في جامعة دمشق سنة ١٩٤٦ فسمي فيها أستاذا وكلف بإدارة المعهد العالي للمعلمين في الجامعة حتى عام ١٩٤٦ إذ سمي أستاذا في كلية الآداب ورأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية منذ ذلك الحين لعام ١٩٩٠، رأس إلى جانب عمله الجامعي لجنة التربية والتعليم في وزارة التربية بدمشق ، وأصبح

وكيلا لكلية الآداب خلال سنتين ثم عميدا لهذه الكلية منذ عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٧٣، شارك في مؤتمرات ودورات علمية عدة واسهم في أعمال اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية وهو عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ومقرر لجنة الترجمة والتبادل الثقافي عن القطر العربي السوري.

عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق ومنح وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة تقديرا لإنجازاته في مجال الفكر والثقافة عام ٢٠٠٢.

سمي عضو في مجلس أمناء الجامعة الافتراضية السورية عام ٢٠٠٢، توفي في ٢٧ / ١ ٢ / ٢٠٠٢.

عادل العوا فيلسوفا سياسيا وأخلاقيا كما سماه البعض فيلسوف الوجدان، فيلسوفا عقلانيا ميلا للاهوت العقلي والفكر الحر، مربيا للأجيال من خلال مهنته في التعليم والإرشاد التربوي والجامعي، ساهم في مسألة (تحديث الأسرة والزواج) وأعطى الكثير في ميادين الترجمة والتآليف الأخرى، وفي تآليفه تجد تلك الروح الموضوعية الحقيقية التي تبدو جليا في كتاباته والأمانة في نقل آراء وأفكار المدارس والاتجاهات الفلسفية المختلفة دون تعصب لرأي أو اتجاه، وقد صرف كامل جهده وعنايته للمسألة الأخلاقية وكل ما يتصل بها أو يتشعب عنها آملا في إرساء دعائم فلسفة أخلاقية كاملة ومتكاملة، أو في إقامة علم أخلاقي مستقل ولكن غير منفصل عن الفلسفة، إذ يرى أن الأخلاق من المباحث الفلسفية الأصيلة ومهما تطورت وتعاظمت فإنها ستظل في حضن الفلسفة الرؤوم، ولذلك فهو ينتقد أولئك الذين يدعون إلى إقامة علم للأخلاق مستقل عن الفلسفة على غرار علم النفس وعلم الاجتماع.

لقد قدم لنا العوا نظرية كاملة في الأخلاق عالجت مختلف المعالم الأخلاقية ومتباينات النشاط الأخلاقي مسبغا عليها من روحه وفكره ولقد حاول من خلال ما قدمه أن يقارب بين النظر والعمل ويمحو الفارق الزائف المصطنع بينهما ويزيل بالتالي التقاطب الماثل بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية لأن الأخلاق هي السلوك او الفاعلية الواقعية للأفراد ولذلك انتقد الآراء التي تعمق الشرخ بين الأخلاق النظرية والعملية وتعمق الهوة بين الأخلاق والواقع المعاش للإنسان.

وبالنسبة لرؤيته للقومية العربية فهي بنظره ليست عنصرية وليست أممية بل هي واقع إنساني يمثل شخصية الأمة العربية في أجلى صورها وأكمل مراحلها، وهذه القومية حقيقة أخلاقية إنسانية تحترم سائر القوميات وتعاونها ولا تعتدي على أية قومية منها ذلك أن رسالتها رسالة الحق وهدفها هدف الحياة الفاضلة المثلى للبشر كافة وبناء على هذا فإن التماثل القومي في أية امة من الأمم لايعود إلى رابطة العرق والدم بالمعنى البيولوجي أو العضوي أو الحيوي وإنما إلى قرابة وطنية هي قرابة الألفة الاجتماعية والروحية.

إذ ليس المهم أن يكون الدم واحد بل المهم أن يؤمن الناس بهذه القرابة الوطنية التي تجعل المواطن أخا المواطن (وكم أخ لك لم تلده أمك).

وأكد الدكتور العوا على الوجدان فبيده القول والفصل وهو حاكم وهو آخر مرجع يلجأ الفرد إليه وكأن ليس في التخلق سوى واجب واحد هو إطاعة الوجدان والخضوع لأوامره والتقيد بأحكامه (استفت قلبك ولو أفتاك الناس طرا وأفتوك).

وليس في وسع أي سلطة اجتماعية أو غيبية أن تحمل الوجدان على الخضوع إلا إذا اعتنق الإنسان بضميره ماينبع من هذا الضمير ويتفق مع تعاليم تلك السلطة إلى حد كبير أو صغير.

قبل رحيل الدكتور بأيام قليلة ظهر إلى الوجود آخر مؤلفاته وعنوانه (التسامح) من العنف إلى الحوار ويصل فيه إلى ضرورة ابتكار حل يقع موقعا ملائما بين الأثرة والإيثار وهذا الحل المبتكر يدعى التسامح وهو اعتراف بوجود الآخر والآخرين والرضا بهذا الاعتراف وسلوك يتسق مع هذين -الاعتراف والرضا – بآن واحد .

من مؤلفاته:

القيمة الأخلاقية – الوجدان – الأخلاق – علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي – أسس الأخلاق الاقتصادية – المدخل الى الفلسفة – دراسات أخلاقية – مذاهب السعادة .

ومن الترجمات :

المدنية سرابها ويقينها – بنية الفكر الديني في الإسلام – فلسفة القيم – الفكر والتاريخ – الفن والأخلاق[٢٢].

(٢٢) . نشر هذا المقال في صحيفة الثورة . دمشق . الأربعاء ٧/١٧ / ٢٠١٣م.

عادل العوّا فيلسوف الوجدان

المحرر الثقافي

المربي الأستاذ عادل العوا، من الرعيل الثاني الداعي إلى الحداثة في سورية، ويراه النقاد من أهم المفكرين العرب في القرن العشرين، بإضاءته على الفلسفة العربية المعاصرة بفكره ونتاجه الأصيل.

كما يعد من الرعيل الأول الذي وضعَ حَجَرَ أساسِ الدراساتِ الأدبيةِ والفلسفيَّةِ في الجامعة السورية، لتتخرج على يديه أجيالٌ من المثقَّفينَ العرب، فهو المؤسس لقسم الآداب – فرع الفلسفة في جامعة دمشق، والأستاذ الذي تسلم رئاسة القسم في بداياته ما يقارب الأربعين عاماً، أمضى خلالها عمراً في التأليف والترجمة، ليعطي المكتبة العربية أكثر من ثلاثين مؤلفاً وعشرات المقالات والأبحاث الفكرية والفلسفية، إضافة إلى مترجماته لأهم الكتب.

عرف بتبنيه منهج الأخلاق في البحث، وأطّر من خلاله فكره الأصيل الذي غاص فيه إلى بحور الوجدان، محللا أساسه ومنشأه وفروعه وكيف يمكن لتلك السمة (الوجدان) أن تبنى، ليخرج جيل يستدل على المعرفة من خلال درب الأخلاق.

نشأ المربي السوري عادل العوا في بيئة دمشقية منفتحة فهو من مواليد عام ١٩٢١، درس في المدارس الحكومية وبعد أن حصل على شهادة البكالوريا السورية عام ١٩٣٨توجه إلى فرنسا ليتابع دراسته في كلية الآداب في جامعة (السوربون) في باريس، وحصل منها على درجة الليسانس والدكتوراه بتخصص (آداب– فلسفة) في حزيران ١٩٤٥، ليعود في العام ذاته إلى سورية ويبدأ حياته العملية بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار المعلمين في دمشق، إلى أن افتتحت كلية الآداب والمعهد العالي للمعلمين في جامعة دمشق سنة ١٩٤٦، فسُمي فيهما أستاذاً وكُلّف بإدارة المعهد العالي للمعلمين في الجامعة حتى عام ١٩٤٩، إذ عُيّن أستاذاً في كلية الآداب وترأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية منذ ذلك الحين إلى عام ١٩٩٠، كما كان وكيلاً لكلية الآداب خلال سنتين ثم عميداً لهذه الكلية منذ عام ١٩٦٥ حتى ١٩٧٣. وخلال عمله في الجامعة ترأس أيضا لجنة التربية والتعليم في وزارة التربية في دمشق حتى ١٩٥٥/١٢/٢٦، كما أسهم في أعمال اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية، لكونه عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ومقرِّر لجنة الترجمة والتبادل الثقافي عن الجمهورية العربية السورية، وعضواً في مجمع اللغة العربية في دمشق منذ ١٩٩١.

وتتويجاً لتلك العطاءات كرمته الجمهورية العربية السورية بمنحه وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة تقديراً لإنجازاته في مجالي الفكر والثقافة، قبيل رحيله بأشهر الذي كان في تاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢٧.

عالج الدكتور عوا في أبحاثه ومؤلفاته قضايا فلسفية متنوعة بين الفكر والتاريخ والمذاهب المتنوعة في تاريخ الشعوب، وعكف على دراسة الفلسفة

الأخلاقية آخذاً من (الوجدان) كسمة أساسية في الإنسان حيزاً كبيراً من كتاباته آملاً من خلال معالجة تلك السمة إلى إرساء دعائم فلسفة أخلاقية كاملة متكاملة، وإقامة علم أخلاقي غير منفصل عن الفلسفة، إذ يرى العوا أن الأخلاق من المباحث الفلسفية الأصيلة، ومهما تطورت وتعاظمت فإنها ستظل في حضن الفلسفة، ولذلك فهو ينتقد أولئك الذين يدعون إلى إقامة علم للأخلاق مستقل عن الفلسفة على غرار علم النفس وعلم الاجتماع.

وفي دراسة خاصة للدكتور عزت السيد أحمد عن فلسفة الدكتور العوا : يرى أن تأليف الأستاذ يتميز بالنهج الموضوعي، والأمانة في نقل أفكار وآراء المدارس والاتجاهات الفلسفية المختلفة، دونما تعصب لرأي أو اتجاه، وهذه صفة قلّما نجدها بين الباحثين الذين يجنحون بدوافع شعورية أو لاشعورية إلى قراءة أفكار الآخرين بما يتفق وميولهم وأهواءهم. مضيفاً: لقد حاول الأستاذ من خلال ما قدمه في مسألة الأخلاق أن يقارب بين النظر والعمل، ليزيل التقاطب الماثل بين الأخلاق النظرية والأخلاق العملية، لأن الأخلاق هي السلوك أو الفاعلية الواقعية للأفراد، بينما الفلسفة الأخلاقية تهدف إلى دراسة هذا السلوك، ولذلك نستطيع أن نسمي النظرية الأخلاقية التي قدمها العوا نظرية التجربة الأخلاقية، ورأى أن الوجدان في هذا المجال «مفهوم معقد جداً» ولكنه غني بالتعبير عن حالة الإنسان الأخلاقية في العصور الحديثة والمعاصرة.

ووجد العوا أن الوجدان الأخلاقي سمة متأصلة بالإنسان، تؤرجح شعوره بين الخير والباطل، وهي ليست مرتبطة بمعتقد أودين، فنزعة الوجدان الأخلاقي نحو العلمانية ظاهرة لا تنكر، وهي متعلقة بميزان الشخص الداخلي، ففي كتاب «الوجدان» يبدأ كتابه بتقديم مفاده: «بالوجدان المعطاء يتحقق السلام الباطني،

والتكيف الاجتماعي، والتآزر القومي والإنساني»، لأن الوجدان هو الحاكم الذي بيده القول الفصل، وهو آخر مرجع يلجأ الفرد إليه، وليس في وسع أي سلطة اجتماعية أو غيبية أن تحمل الوجدان على الخضوع دون رضوخ إلا إذا اعتنق الإنسان بضميره وما ينبع من هذا الضمير ويتفق مع تعاليم تلك السلطة، وكان يرى أن اتباع نهج الوجدان في التربية ينشئ جيلاً صالحاً، لأنه من خلال تلك التربية يتحرر الشخص من أسر غرائزه وأهوائه، تربية الشخص بتوجيه ميوله، تربية السجية والعادات لأن الوجدان ارتكاس شامل في ميدان الخير والشر.

قدم الأستاذ العوا أكثر من مئة كتاب ما بين تأليف وترجمة، هذا فيما خلا المحاضرات والمقالات الكثيرة المنشورة في المجلات والموسوعات والنَّدوات؛ مثل الموسوعة الفلسفية، ومحاضرات وزارة الثَّقافة، ومجلَّة الثَّقافة وغيرها من المجلات،أما المؤلفات فقد بلغت ٣٣ كتاباً[٢٣].

(٢٣) . نشر هذا المقال في صحيفة تشرين . دمشق . ٢٨/ ١١/ ٢٠١٣م.

آفاق الحضارة
عادل العوّا فيلسوف الأخلاق

إدريس مراد

ما قدمه الدكتور "عادل العوا" إلى الساحة الفكرية والفلسفية يستحق الوقوف عنده مراراً ، ولا سيما أن أحداً في الوطن العربي على الأقل، لم يقدم مثله أو أقل منه قليلاً، ومن خلال مؤلفاته نستطيع أن نقول إنه قدم لنا نظرية كاملة في الأخلاق.

مدونة وطن "eSyria" التقت الدكتور "ماجد أبو ماضي" أستاذ في كلية "الآداب" بـ"دمشق"، ليتحدث عن حياة الدكتور "عادل العوا"، بدأ حديثه قائلاً: «الدكتور "العوا" من مواليد "دمشق" عام ١٩٢١، حيث درس في المدارس الحكومية وحصل على شهادة البكالوريا "السورية" في "الفلسفة" عام ١٩٣٨، وسافر في العام ذاته إلى "فرنسا" ليدرس في كلية الآداب بجامعة "باريس – السوربون"، وهناك حصل على درجة الليسانس والدكتوراه" آداب– فلسفة"

عام ١٩٤٥ ليعود إلى وطنه "سورية" مباشرة ويبدأ حياته العملية بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار "المعلمين" بـ"دمشق" حتى افتتحت كلية "الآداب" والمعهد العالي للمعلمين في جامعة "دمشق" عام ١٩٤٦، فسمي فيهما أستاذاً وكلف بإدارة المعهد العالي للمعلمين في الجامعة حتى عام ١٩٤٩، حيث سمي أستاذاً في كلية الآداب وأصبح رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية منذ ذلك الحين إلى عام ١٩٩٠، وإلى جانب عمله الجامعي كان رئيس لجنة التربية والتعليم في وزارة "التربية" بـ"دمشق" حتى عام ١٩٥٥.

وأضاف: «أصبح "العوا" وكيلاً لكلية "الآداب" خلال سنتين ثم عميداً لهذه الكلية منذ عام ١٩٦٥ حتى ١٩٧٣، وشارك في مؤتمرات ودورات علمية عدة منها: "اليونسكو – بيروت عام ١٩٤٩، باريس ١٩٥٥"، كما قدم دراسة فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي متجدد في الجامعة "الأميركية – بيروت ١٩٥٦"، أيضاً للمستشرقين في "ميونيخ"، ١٩٥٧، وللفلسفة "كراتشي" ١٩٦١، ولتطوير التعليم العالي والجامعي "دمشق" ١٩٧١، وللعلوم الاجتماعية "الجزائر" ١٩٧١، وغيرها من الحلقات الدراسية الفلسفية والاجتماعية، وأسهم في أعمال اللجنة الثقافية لجامعة الدول "العربية"، وكان عضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ومقرِّر لجنة الترجمة والتبادل الثقافي عن القطر "السوري"، حاضر ودرّس في الجامعات: "الأردنية واللبنانية والجزائرية"، وفي جامعة "هلسنكي" بوصفه أستاذاً زائراً، كما حاضر في جامعتي "الكويت واليرموك".

يقول الدكتور "إحسان النص" عنه: «أودّ أن أقصر حديثي عنه هنا على ما قام به منذ أن أصبح عضواً في أسرة مجمع اللغة العربية منذ تعيينه فيه حتى

وفاته، فقد شارك في لجان عدة، وكان له فيها حضور لافت للنظر، كان عضواً في لجنة النشاط الثقافي ومهمتها إعداد الندوات الثقافية التي يقيمها المجمع كل عام، فكان يمدّ أعضاء اللجنة بآرائه السديدة لدى اختيار موضوعاتها ومحاورها، وكان عضواً فعالاً في لجنة المصطلح، ومهمتها وضع المصطلحات العلمية وتنسيقها وإذاعتها، أيضاً كان عضواً في لجنة المخطوطات وإحياء التراث، وفي كل هذه اللجان كان له نشاط متميّز».

وأضاف: «إن ما قام به الدكتور "العوا" من أعمال وما ألفه من كتب وما ترجمه من مؤلفات، إضافة إلى ما عرف به من دماثة خلق واستقامة نادرة المثال ومجافاة للمهاترات والخصومات، يجعله في نظر كل من عرفوه مثالاً للمواطن الواعي الصالح وقدوة للعاملين في هذا الوطن، والوطن إنما يشاد على كواهل المواطنين الصالحين أمثاله».

الدكتور "إبراهيم فاضل" قال: «فجأة ظهرت في مكتبات "الشام"، ولأول مرّة في تاريخها، عبر القرون الوسطى والحديثة، أعمال فيلسوف شامي تخرج في جامعة "السوربون الفرنسية" عام ١٩٤٥م، وراح يعمل بدأب وصمت لإلحاق بلده بركب الحضارة المعرفية، فأخرج عرائس فكرية متتالية تميس بقد عقلاني تجريبي طرائقي؛ هذا الفيلسوف هو عميد الفلسفة "الشامية" الدكتور "عادل العوا"، الجسور جداً والذكي جداً، وكانت عرائسه التي زفها إلى شباب الفكر يومئذ على التوالي بحوثاً إسلامية، منتخبات إسماعيلية، إنقاذ المجتمع الإسلامي للمستشرق "جب"، وبدأ هذا المفكر رفد المكتبة العربية والعالمية بعدد كبير من المؤلفات المعمقة».

يذكر أن للدكتور "العوا" عدداً هائلاً من المؤلفات، حيث أصدر بين عامي ١٩٤٨ و٢٠٠٢ ما يقارب مئة مؤلف بين التأليف والترجمة، ومن مؤلفاته: "الانتقادي لجماعة إخوان الصفاء باللغة الفرنسية، المذاهب الأخلاقية، القيمة الأخلاقية، الوجدان، التجربة الفلسفية، معالم الكرامة في الفكر العربي، من الشرف إلى الكرامة، الأخلاق، الإنسان ذلك المعلوم، علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي، أسس الأخلاق الاقتصادية، مدخل إلى الفلسفة، مقدمات الفلسفة، الأخلاق والحضارة، آفاق الحضارة...." وأغلبها من إصدارات جامعة "دمشق."

ومن الترجمات المدنية: سرابها ويقينها للمؤلف "جورج باستيد"، فلسفة القيم للمؤلف "ريمون رويه"، الفكر والتاريخ للمؤلف "بيير-هنري سيمون"، مدرسة الإلهات (مع مقدمة) للمؤلف "أتين جيلسون"، الفن والحياة الاجتماعية للمؤلف "شارل لالو"، العقل والمعايير (مع مقدمة) للمؤلف "أندريه لالاند ."

منح وسام الاستحقاق "السوري" من الدرجة الممتازة تقديراً لإنجازاته في مجالي الفكر والثقافة وذلك شباط من عام ٢٠٠٢.

توفي في نهاية عام ٢٠٠٢م[٢٤].

(٢٤) . نشر في موقع دمشق. الخميس ٠٥ كانون الأول ٢٠١٣.

معالم الكرامة في الفكر العربي

للدكتور عادل العوا

د. محمد الراشد

شخصيتان محوريتان وسمتا الفكر العربي في القرن العشرين بمياسم من نور وتركتا بصمات عميقة في العقول المشرئبة إلى الفكر الحديث مع إصرار مكين على التمسك بأبجديات التنوير باعتبارها الأرض الخصبة لإنبات حقول التحضر ورسم صورة المستقبل الموعود، الشخصية الأولى: المفكر العربي الجزائري مالك بن نبي الذي قدم الإسلام الحضاري للغرب والشرق باللغة الفرنسية محققاً قفزة ريادية في هذا الميدان ولكن لسوء الحظ لم يتابع برنامجه أحد حسب اطلاعي المتواضع.

والشخصية الثانية: أستاذنا الدكتور عادل العوا العربي السوري الذي حقق منظومة فكرية فلسفية وأخلاقية تاريخاً وتجسيداً وتحليلاً لمعطيات الأفكار الغربية والعربية والإسلامية، ولا أنسى ما حييت مؤلفاته وعلى رأس

الهرم منها (التجربة الفلسفية) و(القيمة الأخلاقية) وكل كتبه الدائرة في فلك عالم القيم ولهذا يعتبر فيلسوف القيم في الفكر العربي الحديث، فكانت مؤلفاته بمثابة الحجر الأساس في تشكيل رؤيتي الفكرية والأخلاقية لا بحكم دوره كأستاذ لي فحسب وإنما بحكم قدرته على تحقيق التشابك بين العمق والأصالة والحيادية في دراسة وتحليل الفكر العربي الإسلامي والفكر الغربي على السواء ومما لا شك فيه أن الحديث عن الكرامة في الفكر العربي مهم جداً لاسيما في هذه المرحلة التي يخوض فيها الإنسان العربي مخاضاً وجودياً حتى غدا تائهاً في صحارى تحتضن الكرامة وأبعادها حيناً وفي غابات مدلهمة لا مواقع للكرامة فيها حيناً آخر.

ومطاوي التاريخ تؤكد أن للكرامة جذوراً بعيدة المدى على طول امتداد الأحقاب ولوجاً في التاريخ الجلي إلى أكثر من عشرة آلاف سنة في هذا الوطن. وما كان مهداً للرسل والنبيين إلاّ لأنه البذرة الأولى للكرامة وأوراقها وثمارها وما كان أستاذاً للبشرية جمعاء إلا لأنه جذّر الكرامة والتكريم لذاته ولكل أبناء آدم.

ودارت الأزمنة دورتها فنأى عن خطابه الفلسفي والحضاري الذي صادره الإغريق والرومان والغرب كافة ولم يعد قادراً على إدراك أبجديات كتاب الله المقروء وآياته المبينات سبل الكرامة ورحابها، فوجد نفسه تلقاء غابات وفياف وقفار لا نهاية لها.. وهذا واقعه الحاضر المتزامن مع القرون الثلاثة الأخيرة والتي احتلت صبيحة القرن الواحد والعشرين المرحلة القصوى للإنسان العربي الذي كان موئل الكرامة فغدا بلا كرامة على الإطلاق بفاعلية الآخر وبغبائه الذي يتنامى يوماً إثر يوم.

وما الكتاب الذي بأيدينا (معالم الكرامة في الفكر العربي) للمفكر العربي الدكتور عادل العوا إلا منطلق موضوعي ومحاولة جادة تستبطن الشفافية في هذا المجال لا باعتباره أول محاولة من نوعها في الفكر والأدب العربي الحديث فحسب، وإنما لكونه اتخذ منهجاً حيادياً في البحث والتحليل قوامه الدقة والوضوح بتحديد معالم الكرامة في تراثنا بشكل لم يسبق له مثيل.

والكرم لغة: شرف في الشيء نفسه أو شرف في خلق من الأخلاق كما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس، وبحسب الدامغاني في كتاب (الوجوه والنظائر في القرآن) الكريم الحسن كقوله تعالى(ويدخلكم مدخلاً كريماً) أي حسناً، والكريم المتجاوز والصفوح والكريم الفاضل كما في قوله تعالى(ولقد كرّمنا بني آدم) أي فضلناهم والكرم إذا جاء وصفاً لله تعالى فهو اسم لإحسانه وإنعامه كما جاء في مفردات الراغب مسترسلاً وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه والإكرام والتكريم أن يوصل الى الإنسان إكرام أي نفع ما.

ويشرع في رصد الكرامة من خلال إخوان الصفا وخلان الوفا الذين ذهبوا (في هذا المجال إلى الكشف عن قيمة الإنسان الصحيحة بالنظر إلى وضعه الطبيعي والشرعي والعقلي وانطلقوا من أن الإنسان كائن عاقل حر مختار يعيش في مجتمع ويبني حضارة ويسلك سلوكاً واعياً مسؤولاً ينبغي أن يكون في الوقت نفسه سلوكاً أمثل كريماً يليق بالإنسانية التي يتميز بها عن سائر الأحياء(ص /٢٠/ معالم الكرامة في الفكر العربي) ويتابع تطوافه ليقف لدى مفهوم الكرامة عند الأشخاص مركزاً على الكرامة لدى الأشخاص، وعلى الكرامة في الأخلاق وموضحاً آراء الباحثين والمفكرين أمثال الطبرسي الذي وسَع آفاق المكارم

الأخلاقية لتشمل العلاقات الإنسانية على اختلاف أنواعها لكنما(لا ينفرد الطبرسي باعتبار هذا الشمول الكبير وإنما نجد سائر مفكري الأخلاق من العرب ينهجون هذا النهج الواسع وبعضهم يربط معنى الأخلاق الكريمة ربطاً أوثق بمشاغل دينية أو فلسفية أو صوفية) المصدر نفسه ص ١٥٦ ومن هؤلاء المفكرين الذين يحققون هذا الربط: الماوردي ومسكويه والغزالي والخوارزمي وغيرهم ثم يعمد إلى ضرب الأمثلة في المكرمات مسارعاً إلى تحديد معنى الكريم واللئيم مقرراً (والحق أن مفكري العرب والمسلمين أفاضوا في تبيان صبر الكرام على اللئام) المصدر نفسه ص ١٦٤ منطلقاً من ثم إلى ميدان حقوق الإنسان وكمال النوع البشري مستخلصاً من ذلك فلسفة الكرامة في أعلى معانيها و(ليست الكرامة الإنسانية بحصيلتها واحدة وإن كانت بجملتها واحدة فطرية للإنسان من حيث هو إنسان) المصدر نفسه ١٨٨ كما يقرر مسكويه في بحثه عن السعادة.

ثم يموج مع مفهوم الكرامة ومداها في رحاب الأدب العربي قديماً وحديثاً فيقول: (حفل الأدب العربي وهو مرآة الفكر في قديمه وحديثه بمطلب الكرامة وبمقصد الإعراب عنها في صوره الفنية المختلفة شعراً ونثراً وسجعاً ومقامة متميزاً عن سائر أساليب الفكر بخصائص التذوق الجمالي والابتكار البديعي وضم في تضاعيف الشكل دقائق المضمون فانطوى الهيكل الفني على خلجات الفكر النابض بالحياة) المصدر نفسه ص ١٩٥ فعمد الكّتاب والشعراء إلى امتداح المكارم والفضائل وذم الخسة والرذائل فهذا السموءل يقول:

إذا المـرء لـم يـدنس مـن اللـؤم عرضـه

فكـــــل رداء يرتديـــــه جميـــــل

وإن هـو لـم يحمـل علـى الـنفس ضـيمها
فلـــيس إلـــى حســـن الثنـــاء ســـبيل
تعيرنـــــا أنّـــــا قليـــــل عديـــــدنا
فقلـــــت لهـــــا إن الكـــــرام قليـــــل

كما يؤكد الدكتور العوا بأنه (من بديهيات معنى الكرامة في الفكر العربي امتداد نفوذ المرء إلى أهله وحماية الكريم جاره) المصدر السابق ٢٠٣ كما يقرر الشاعر أبو فراس الحمداني:

ألم ترنا أعز الناس جاراً
وأمنعهم وأمرعهم جنابا

إلى أن يؤكد المؤلف قائلاً (ولا ريب في أن هذا الموضوع الواسع يتكشف عن وعي العرب قديماً بتضامنهم القومي وإعرابهم عن هذا الشعور بالافتخار بمناقبهم الأصيلة ومزاياهم العريقة وخصائصهم التي يعتزون بها ولاسيما في حلبة الذود عن كرامتهم الاجتماعية والرد على من طعنهم ولاسيما من الشعوبيين) المصدر السابق ص ٢٠٣.

ثم يختتم تجواله لدى مفهوم الكرامة في صبيحة القرن العشرين لأن (التطور التاريخي للأمة العربية جعلها تنزع في العصور الحديثة إلى فهم الكرامة بالمعنى القومي والاجتماعي) المصدر السابق ص ١١٢،ولا شك بأننا نتحسس ذلك فيما كتبه الكتاب ونظمه الشعراء فهذا الشاعر جميل صدقي الزهاوي يندد بالسلطات الحاكمة آنذاك:

حكومـــة شـــعبنا حـــارت وصـــارت
علينـــا تســـتبد بمـــا أشـــارت
فـــلا أحـــد دعتـــه ولا استشـــارت
وكـــل حكومـــة ظلمـــت وحـــارت
فبشـــرها بتمـــزق الجلـــود

وهذا الشاعر إبراهيم يازجي يرفع صوته عالياً منادياً بحتمية التأكيد على الكرامة العربية التي أطاح بها الظالمون:

تنبهـــوا واســـتفيقوا أيهـــا العـــرب
فقـد طمـى السـيل حتـى غاصـت الركـب

في حين يستدعي إبراهيم طوقان بكائيات الكوارث التي لم تترك للكرامة موطئ قدم:

يـــا حســـرة مـــاذا دهـــى أهـــل الحمـــى
فـــــالعيش ذل والمصـــــير بـــــوار
أرأيـــت أي كرامـــة كانـــت لهـــم
واليـــوم كيـــف إلـــى الإهانـــة صـــاروا

وهذه الصرخات كانت وليدة أحداث النصف الأول من القرن العشرين وراحت الأيام تترى فإذا بتلكم الصيحات لم تكن أكثر من صيحة في واد مع

أحداث العقدين الأول والثاني من القرن العشرين وما نسج فيها الناسجون من فتن كادت تلهب الأخضر واليابس وكأننا اليوم مع صيحات جميل صدقي الزهاوي وإبراهيم يازجي وإبراهيم طوقان في عصر لا كرامة فيه لكريم ولا عهد فيه لمعاهد في حين يرقص الآخر فرحاً بعرب اليوم الذين يقتلون بعضهم بعضاً وكأنهم عائدون إلى جاهليتهم الجهلاء قبل ألف وخمسمئة عام من مسيرة التاريخ[٢٥].

(٢٥) . نشر هذا المقال في صحيفة الجماهير . حلب . العدد ١٤٥٤٠ . الخميس ٣١/ ٣ / ٢٠١٦م.

عادل العوّا
سيرة ذاتية

مدونة العزيزية

وُلِدَ بدمشقَ عامَ ١٩٢١م، وَدَرَسَ في الْمَدَارِسِ الحكومِيَّةِ وحَصَلَ على شهادة البكالورية السُّوريَّة (فلسفة) عام ١٩٣٨ م. سافر في خريف ١٩٣٨م إلى فرنسا ، ودرس في كلِّيَّةِ الآدابِ بجامعة باريس (السوربون) وحَصَلَ على الإجازةِ، ثُمَّ الدُّكتوراه من جامعة باريس (آداب / فلسفة) حزيران ١٩٤٥م. عاد إلى سوريا في شهر آب ١٩٤٥ م، وبدأ حياته العمليَّة بالتَّدريسِ في المدارسِ الثَّانويَّةِ وفي دار المعلمين بدمشق حَتَّى افتتحت كُلِّيَّةُ الآداب والمعهد العالي للمعلمين في جامعة دمشق سنة ١٩٤٦م فَسُمِّيَ فيها أستاذاً، وكلف بإدارة المعهدِ العالي للمعلمين حَتَّى عام ١٩٤٩ م إذ سُمِّيَ أستاذاً في كُلِّيَّة الآداب، وتَرَأسَ قِسْمَ الدِّراسات الفلسفيَّةِ والاجتماعيَّةِ منذ ذلك الحين وحَتَّى إحالته إلى التَّقاعد بعد التَّمديد عام ١٩٩٠م.

رأس إلى جانب عمله الجامعي لجنة التَّربية والتَّعليم في وزارة التَّربية بدمشق حتى ٢٦/ ١٢ / ١٩٥٥م. أصبح وكيلاً لكُلِّيَّةِ الآدابِ خلالَ سنتين ثُمَّ عميداً لهذه الكُلِّيَّةِ منذ عام ١٩٦٥م حَتَّى عام ١٩٧٣م. شارك في مؤتمرات ودورات علميَّة عديدة منها اليونسكو (بيروت .١٩٤٩م) وباريس (١٩٥١م) ولدراسةِ فلسفةٍ تربويَّةٍ متجدِّدَةٍ لعالمٍ عربيٍّ متجدِّدٍ (الجامعة الأمريكيَّة / بيروت . ١٩٥٦م) وللمستشرقين (ميونخ . ١٩٥٧م) وللفلسفة (كراتشي .١٩٦١م) ولتطوير التَّعليم العالي والجامعي (دمشق . ١٩٧١م) وللعلوم الاجتماعيَّة (الجزائر . ١٩٧١م وغيرها من الحلقات الدراسيَّة الفلسفيَّة والاجتماعيَّة. أسهم في أعمال اللجنة الثَّقافيَّة لجامعةِ الدُّول العربيَّة وهو عضو في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ومقرِّرُ لجنة التَّرجمة والتَّبادلِ الثَّقافيِّ عن القطرِ العربيِّ السُّوريِّ

عضو مجمع اللغة العربيَّة بدمشق. حاضرَ ودَرَّسَ في الجامعاتِ الأردنيَّةِ واللبنانيَّةِ والجزائريَّة وفي جامعة هلسنكي بوصفه أستاذاً زائراً، كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك. (نقلا عن بحث للدكتور عزت السيد أحمد بعنوان عادل العوا فيلسوف أخلاقي . نشر في مجلة الثقافة عام ١٩٩٢م).

توفي بدمشق يوم السبت ٢٨ كانون الأول ٢٠٠٢م.

مكانته وأهميته

يقول الدكتور عزت السيد أحمد الدكتور عادل العوا من الرَّعيل الأوَّل الذي وضعَ حَجَرَ أساسِ الدِّراساتِ الأدبيَّةِ والفلسفيَّةِ في الجامعة السُّوريَّة، تخرَّجت على يديه أجيالٌ جدُّ كثيرةٍ من المثقَّفينَ العرب عموماً والسُّوريين خصوصاً، ومن هذه الأجيال كثيرٌ جدًّا من المفكِّرين والباحثين الكبار الذين

يشغلونَ مكاناَ أساسيًّا من السَّاحَةِ الفكريَّةِ العربيَّةِ المعاصرة، ومن هذه الأجيال أيضاً كان الأساتذة الجامعيُّون من أكثر من جيلٍ، ولذلكَ لا يمكنُ لأحدٍ أن يتنكَّرَ لمكانَتِهِ العَلِيَّة السَّامية، ولأهمِّيَّة الدَّورِ الذي لعبه الدُّكتور عادل العوا وزملاؤه من أبناء جيله في بناء أجيال المفكِّرينَ والباحثينَ المتتالية؛ الَّتي تشغلُ كاملَ السَّاحة الفكريَّةِ العربيَّةِ الزَّاهنة.

ولكن أهمِّيَّةَ الدُّكتور عادل العوا على هذا الصَّعيدِ تكمنُ في إدراكه وإصراره على أهمِّيَّةِ الاتِّصالِ والحوارِ في نَقلِ المعارف، لأنَّ الْحِوَارَ وحده الكفيلُ بترسيخ المعرفة وتقويمها وقيادتها الوجْهَةَ الأكثرَ صَواباً، وبالحوار يُعْرَفُ الغَثُّ من الثَّمين، وبالحوارِ تُثَارُ المواهِبُ وتَنْشَطُ القرائحُ. ولإيمانه بهذه الحقيقة فَقَدْ أفردَ لَها فصلاً طويلاً في كتابه مقدمات الفلسفة، مبيِّناً فيه أسلوبَ التَّفكير وأسلوبَ التَّعلُّم والتَّعليم. على أنَّ مكانَتَهُ وأهمِّيَّتَهُ لا تنبعان من هذا الجانب وحده، فلا أَحَدَ يماري البتَّةَ في مكانة الدُّكتور عادل العوا العلميَّةِ على صعيد الوطن العربيِّ لوافرِ ما قَدَّمَهُ للفكر العربيِّ وأهمِّيَّتِهِ، ولاسيَّما على صعيد الفلسفة الأخلاقيَّة تأليفاً وتعريباً، فَقَدْ زيَّن بمآثره الفلسفةَ الأخلاقيَّةَ، ومَلَكَ بِنَقِيِّ ذِهْنِهِ جواهرها السَّنيَّةِ، حَتَّى غدا مرجعاً يصعبُ الاستغناء عنه لأيِّ باحثٍ في الفكرِ الأخلاقيِّ والقيميِّ، فَلَقَد رَفَدَ المكتَبَةَ العربيِّةَ، منذ أوائل الخمسينات وحَتَّى الآن، بأكثر من سبعين كتاباً تناولت أكثرَ من صعيدٍ فكريٍّ، ونستطيع القولَ إلى حدٍّ بعيد إنَّها شَمَلَتْ مباحثَ الفلسفة الأخلاقيَّة والقيميَّة بمختلف جوانبها وتباين أبعادها، ولا أظنُّ أنَّ باحثاً واحداً، على الأقلِّ، قدَّم ما قدَّمه الدُّكتور عادل العوا على هذا الصَّعيد تأليفاً وتعريباً، ولذلك غَدَا تراثه الفكريُّ الكبير هذا موئلاً ثرًّا يمتحُ الباحثون من معينه، ومرجعاً لا يمكنُ التَّنكُّر لعظيم أهمِّيَّتِهِ، كما لا يمكن

الاستغناء عنه. (نقلا عن بحث للدكتور عزت السيد أحمد بعنوان عادل العوا فيلسوف أخلاقي . نشر في مجلة الثقافة عام ١٩٩٢م).

مؤلفاته

وضع عادل العوا أكثر من مئة كتاب ما بين تأليف وترجمة، هذا فيما خلا المحاضرات والمقالات الكثيرة المنشورة في المجلات والموسوعات والنَّدوات؛ مثل الموسوعة الفلسفيَّة، ومحاضرات وزارة الثَّقافة، ومجلَّة الثَّقافة وغيرها من المجلات. أما المؤلفات فقد بلغت ٣٣ كتابا وهي:

١. الفكر الانتقادي لجماعة إخوان الصفا (بالفرنسية) . المطبعة الكاثوليكية . بيروت . ١٩٤٨م.
٢. منتخبات إسماعيلية تنشر لأول مرة . تحقيق ومقدمة . جامعة دمشق . ١٩٥٨م.
٣. المذاهب الأخلاقية (جزءان) . جامعة دمشق . ١٩٥٨م /١٩٥٩م.
٤. القيمة الأخلاقية . جامعة دمشق .١٩٦٠م.
٥. الوجدان . جامعة دمشق .١٩٦١م.
٦. التجربة الأخلاقية (جزءان) . جامعة دمشق .١٩٦٢م.
٧. معالم الكرامة في الفكر العربي . مطبعة الأمل . دمشق . ١٩٦٩م.
٨. من الشرف إلى الكرامة . مطبعة الأمل . دمشق . ١٩٧٣م.
٩. الأخلاق . جامعة دمشق .١٩٧٥م.
١٠. الإنسان ذلك المعلوم . عويدات . بيروت/باريس .١٩٧٧م.

١١. علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي (بالاشتراك) . عويدات . بيروت /باريس . ١٩٧٧م.
١٢. أسس الأخلاق الاقتصادية . جامعة دمشق .١٩٨١م.
١٣. المدخل إلى الفلسفة (بالاشتراك) . جامعة دمشق .١٩٨٢م.
١٤. دراسات أخلاقية . جامعة دمشق .١٩٨٣م.
١٥. العمدة في فلسفة القيم . دار طلاس . دمشق .١٩٨٦م.
١٦. المعتزلة والفكر الحر . دار الأهالي . دمشق . ١٩٨٧م.
١٧. المذاهب الفلسفية . جامعة دمشق .١٩٨٧م.
١٨. مقدمات الفلسفة . جامعة دمشق .١٩٨٧م.
١٩. بحوث أخلاقية . جامعة دمشق . ١٩٨٨م.
٢٠. الفلسفة الأخلاقية . جامعة دمشق . ١٩٨٨م.
٢١. الأخلاق والحضارة . جامعة دمشق .١٩٨٩م.
٢٢. أخلاق التهكم . دار الحصاد . دمشق .١٩٨٩م.
٢٣. مذاهب السعادة . دار الفاضل . دمشق . ١٩٩١م.
٢٤. تحديث الأسرة والزواج . دار الفاضل . ١٩٩١م.
٢٥. المزاج الحضاري في الفكر العربي . دار شمأل . دمشق .١٩٩٢م.
٢٦. دروب الهموم والخلاص عربياً وعالمياً . دار طلاس . دمشق . ١٩٩٣م.
٢٧. حقيقة إخوان الصفاء . دار الأهالي . دمشق . ١٩٩٣م.
٢٨. لقاء القيم في الفكر العربي . دار الحكمة . دمشق . ١٩٩٣م.
٢٩. أخلاقنا الاقتصادية . دار الحصاد . دمشق . ١٩٩٤م.
٣٠. مواكب التهكم . دار الفاضل . دمشق . ١٩٩٤م.

٣١. العلوم الإنسانية وإشكالية التاريخ . دار طلاس . دمشق . ١٩٩٥م.

٣٢. آفاق الحضارة . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.

٣٣. الفضائل العربيَّة . دار الفاضل . دمشق . ٢٠٠٢م.

(نقلا عن الدكتور عزت السيد أحمد عادل العوا فيلسوف أخلاقي معاصر . مجلة الثقافة . ١٩٩٢م).

مترجماته

ترجم الدكتور عادل العوا عن الفرنسية نحو ستين كتاباً، فترجم ل إتين جلسون مدرسة الآلهات. و إدوار مورو سير الفكر الفرنسي المعاصر. ول ألبير بايه أخلاق الإنجيل؛ دراسة سوسيولوجية. ولبايه الثورات العقلانية. ول أندره لالاند العقل والمعايير. ول بول سيزاري القيمة. ول بيار منار كيركغارد. ول بيير بورديو العقلانية العملية؛ حول الأسباب العملية ونظرياتها. ول جاستون باشلار الفكر العلمي الجديد. ول جان كزنوف السعادة والحضارة وكذلك دعائم علم الاجتماع. ول جان ماري أوزياس الفلسفة والتقنيات. وللمستشرق جب بنية الفكر الديني في الإسلام. ول جورج باستيد المدنية؛ سرابها ويقينها. ول روبرت بلانشه المعقولية والعلم الحديث. ول روجيه جارودي حوار الحضارات. ول روجيه ميل المواقف الأخلاقية. ول روز ماري باستيد الحرية. ول ريمون بولان الأخلاق والسياسة. ول ريمون بولان أيضاً الحرية في عصرنا. ول ريمون رويه السيبرنتيك وأصل الإعلام. ولرويه الم ة الايديولوجية. ولرويه أيضاً عالم القيم. ولرويه أيضاً فلسفة القيم. ولرويه نقد الايديولوجيات المعاصرة. ولرويه أيضاً نقد المجتمع المعاصر. ول رينيه بواريل الاختراع. ول سيجموند فرويد عسر الحضارة.

ول شارل لالو الفن والأخلاق. ول شارل لالو أيضاً الفن والحياة الاجتماعية. شواوي لشواوي وزملاؤها معنى المدنية. ول غي توليه وجان تولار صناعة المؤرخ. ول فرانسوا سليه الأخلاق والحياة الاقتصادية. ول كارل يسبرز عظمة الفلسفة وليسبرز أيضاً فلاسفة إنسانيون. وليسبرز كذلك نهج الفلسفة. ول كازا ر العدالة للجميع؛ دراسة اجتماعية للعدالة الاجتماعيَّة. ول لويس دللو الثقافة الفردية وثقافة الجمهور. ول ليون مينار الانتحار والأخلاق. ولمجموعة من المؤلفين الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية (بالاشتراك). ول محمد آركون الفكر العربي .ولنخبة من الأساتذة أضواء عربية على أوروبا في القرون الوسطى. ول هنري آرفون جورج لوكاتش . ولآرفون أيضاً فلسفة العمل .ولهنري سيمون الفكر والتاريخ .وليوسف كومبيز القيمة والحرية. (نقلا عن الدكتور عزت السيد أحمد عادل العوا فيلسوف أخلاقي معاصر . مجلة الثقافة . ١٩٩٢م).

فلسفته

يقول الدكتور عزت السيد أحمد: صحيحٌ أنَّه لم يُقِمْ مذهباً كاملاً بما تحمله هذه الكلمة من دلالةٍ ومعنى، إلا أنَّنا لا نستطيعُ أن ننكرَ الجهودَ الَّتي بَذَلَهَا لإقامةِ علمٍ مستقلٍّ للأخلاقِ، كاملٍ متكاملٍ، فهل نجح في ذلك أم لا؟ والحقُّ أنَّ الإجابة عن هذا السُّؤال تستحقُّ دراسةً تُخَصُّ لهذا الغَرَضِ لأنَّ الإجابةَ، أيًّا كانت، لا بدَّ أن تكون مدعَّمةً بكامل ما قدَّمه لنا الأستاذ العوا، وهذا جَهْدٌ ليسَ باليسير إنجازه، ولن تكفيه صفحاتٌ قليلة البتَّةَ، ولذلك سنقفُ عند بعضِ النِّقاطِ الَّتي نراها أساسيَّة ومهمة على هذا الطَّريق، آملين أن تتاح لنا العودة إلى هذا التُّراثِ الغنيِّ الكبير، كمًّا وكيفاً، الذي قدَّمَهُ الأستاذ العوا للإجابة عن هذا السُّؤال بمزيدٍ من التَّفصيل.

أولاً إنَّ أوَّلَ ما تجدرُ الإشارةُ إليه في مؤلَّفات الأستاذ عادل العوا هو تلك الرُّوحُ الموضوعيَّةُ الحقيقيَّة التي تبدو جليَّةً في كتاباته، والأمانة في نقلِ أفكارِ المدارسِ والاتِّجاهاتِ الفلسفيَّة المختلفة وآراء أصحابها، من دونما تعصُّبٍ لرأيٍ أو اتِّجاهٍ، وهذه صفةٌ قَلَّ أن نجدها لدى كثيرٍ من الباحثين الذين يجنحونُ بدوافعَ شعوريَّة أو لاشعوريَّة إلى قراءة أفكار الآخرين بما يتَّفِقُ وميولهم وأهواءهم، وقَلَّ ونَدَرَ ما تكونُ مثلُ هذه القراءة صَحيحةً، وبِقَدْرِ تَعَصُّبِ الباحِثِ لاتِّجاهه الفلسفيِّ يكون فهمه للآخرين أبعد عن الحقِّ والصَّواب.

ثانياً لم يعنُ الأستاذ العوا بمختلفِ قضايا الفكرِ تأليفاً، وفي معظم ترجماته . وإن كانت تشغل حَيِّزاً واسعاً من ثقافته . لأنَّه صَرَفَ كامل جهده وعنايته للمسألة الأخلاقيَّةِ، وكلِّ ما يتَّصلُ بها أو ينشعبُ عنها، آملاً في إرساءِ دعائم فلسفةٍ أخلاقيَّةٍ كاملةٍ متكاملةٍ، أو في إقامةِ علم أخلاقيٍّ مستقلٍّ، ولكنْ غير منفصلٍ عن الفلسفة، إذ يرى أستاذنا أنَّ الأخلاق من المباحث الفلسفيَّةِ الأصيلة، ومهما تطوَّرت وتعاظمت فإنَّها ستظلُّ في حضن الفلسفة الرَّؤومِ، ولذلكَ فهو ينتقدُ أولئك الذين يدعون إلى إقامة علم للأخلاق مستقلٍّ عن الفلسفة على غرار علم النَّفسِ وعلم الاجتماع... مثل ليفي بريل الذي دعا إلى تأسيس علمٍ جديدٍ هو علم العادات الأخلاقيَّة. إنَّ ما يريده أستاذنا ليس علماً مستقلاً للأخلاق على غرار العلوم التي نالت استقلالها عن الفلسفة، وإنَّما علماً، أو لنقل نَظَرِيَّةً متكاملة للأخلاق، تتناولها جملةً وتفصيلاً، بكلِّ صلاتها وتفرُّعاتها وأساليب تناولها ومعالجتها.

ثالثاً إنَّ ما قَدَّمَهُ الأستاذ العوا على هذا الصَّعيد جَهدٌ يستحقُّ عليه جزيلَ الشُّكر، ولاسِيَّما أنَّ أحداً في الوطن العربيِّ على الأقلِّ، لم يُقَدِّمْ مثله أو أقلَّ منه

قليلاً، ومن تقليب صفحات هذه المؤلَّفات نستطيع القول بصورة أوليَّةٍ إنَّهُ قدَّمَ لنا نظريَّةً كاملة في الأخلاق، عالجت مختلف المعاني الأخلاقيَّة ومتباينات النَّشاط الأخلاقي، مُسْبِغاً عليها من روحه وفكره لبوساً مؤنقاً ومؤتلقاً، غير مكتفٍ بعرضِ آراء الفلاسفة وأفكارهم على اختلاف انتماءاتهم الزَّمنيَّة والمكانيَّة والفكريَّة.

رابعاً لقد حاول أستاذنُا من خلال ما قَدَّمَهُ أن يقاربَ بين النَّظرِ والعمل ويمحو الفارق الزَّائف المصطنع بينها، وليزيلَ بالتَّالي التَّقاطبَ الماثلَ بين الأخلاقِ النَّظريَّةِ والأخلاقِ العملية، لأنَّ الأخلاقَ هي السُّلوك أو الفاعليَّة الواقعيَّة للأفراد، والفلسفة الأخلاقيَّة تهدفُ إلى دراسة هذا السُّلوكِ أو الفاعليَّة البَشَرِيَّةِ كشفاً عن العلل والمبادئ، ولذلك نستطيع أن نُسَمِّي النَّظريَّة الأخلاقيَّة الَّتي قَدَّمَها الأستاذُ العوا بنظريَّة التَّجربة الأخلاقيَّةِ، أو الأخلاق المشخَّصة كما يحلو له أن يسمِّيها في كتابه القيمة الأخلاقية، هذه النَّظريَّة الَّتي تشرئبُّ إلى تنظيم التَّجربةِ البشريَّة تنظيماً متآلفاً ومنسجماً مع غائيَّة شاملة.

ولذلك انتقدَ أستاذُنا الآراءَ الَّتي تُعَمِّقُ الشَّرخَ بين الأخلاقِ النَّظريَّةِ والأخلاقِ العمليَّةِ، وتُعَمِّقُ الهوَّةَ بين الأخلاق والواقعِ المعاشِ للإنسان، فيقول مثلاً «رَامَت المذاهبُ الأخلاقيَّةُ المدرسيَّةُ الكبرى، مثل مذاهب أفلاطون وأرسطو وكانت، أنْ تُمَثِّلَ الأخلاقَ السَّرمديَّةَ الخالدة، أكثر من تمثيلها أخلاقَ زمانٍ مُعَيَّنٍ، أو بيئةٍ معيَّنَةٍ. وإن هذا التَّطلُّع إلى الكُلِّيَّةِ لَيَتَجَلَّى على أكمل وجهٍ في صيغِ الأمرِ القطعيِّ لدى كانت. فيظهرُ الإنسانُ في هذا المذهبِ وقد سُلِخَ عن الظُّرُوفِ والملابسات، وانْتُزِعَ من الوَسَطِ والزَّمانِ، حَتَّى باتَ بمنزلة ضَرْبٍ من التَّجريدِ المختزلِ يُمَكِّنُهُ من الخضوعِ بيسرٍ إلى قاسمٍ مشترك». (نقلا عن بحث للدكتور

عزت السيد أحمد بعنوان عادل العوا فيلسوف أخلاقي . نشر في مجلة الثقافة عام ١٩٩٢م).

كتابات عنه

الدكتور عزت السيد أحمد هؤلاء أساتذتي . دار الثقافة . دمشق . ١٩٩٤م.

الدكتور عزت السيد أحمد قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م[٢٦].

(٢٦) . منشور في مدونة العزيزية . مكة المكرمة . بتاريخ ٢٢ تشرين الأول ٢٠١٦م.

في الختام لا بد من كلمة أو أكثر من كلمة تتعلق بالدكتور العوا وبمن كتب عنه ممن حوت سطور هذا الكتاب كتاباتهم وممن غفلنا عن أبحاثهم ومقالاتهم إما لتقصير مني في المتابعة أو لعذر موضوعي منع من إيراد كتاباتهم في هذا الكتاب مثل الدراسة المطولة التي كتبها نبيل سلامة في موقع اكتشف سوريا التي تستحق أن تنشر وحدها في كتاب مستقل لأنها طويلة جدًّا.

لم يكن هدفي في هذا الكتاب نشر كل ما كتب عن أستاذنا عادل العوا وإن كان يسرني ذلك ويسعدني، وإنما كانت الغاية جمع عدد من الكتابات عنه تخليداً لذكراه وتقديراً لجهوده على مدار عشرات السنين في البحث والكتاب والتعليم والإنجازات العلمية والإدارية.

هذا يعني بالبداهة أنَّ ثمة مقالات ودراسات أخرى منشورة لم تدرج ضمن هذا الكتاب، ليس لذلك أي سبب سوى أنني لم أصل إليها أو لم تصل إلي، أو أنَّها كبيرة تستحق أن تنشر في كتب مستقلة. وأما بالنسبة للمقالات والدراسات التي تضمنها هذا الكتاب فمن الجدير بالذكر فيه هو أننا رتبناها حسب تواريخ نشرها وليس على أي أساس آخر.

الموضوع الآخر الذي أود أن أشير إليه في هذه الخاتمة وهو ما مررت به في المقدمة هو أنَّ ما كتب عن عادل العوا أقل بكثير مما يستحق وأقل بكير مما تحتاج إليه آثاره غير القليلة، وإنما ذنبه أنه عاش في ظل سطوة اليسار الذي قام بتهميش كل غير يساري وتقديس اليساري مهما بلغ من قزمية. هذه كلمة اقولها للتاريخ وأنا مسؤول عنها، قلتها مراراً بأساليب مختلفة وأكررها هنا الآن.

وفي هذا الإطار أشير هنا إلى أنيَّ أعد لكتابي القادم عن أستاذنا الدكتور عادل العوا، آمل أن يصدر قريباً. إلى جانب مقالاتي ودراساتي السابقة عنه سيكون حديث شبه مطول عنه شخصيًّا فيما يمكن أن يكون شريط ذكرياتي معه، وانطباعاتي عنه. ولا أكيل في ذلك الآن وأتركه إلى الكتاب بإذن الله تعالى.

صَدَرَ لِلمُؤَلِّف

- أعاجيب السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحو نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- آفاق التمدد الفارسي . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم . دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار إنسانية الإنسان . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.

- انهيار قيم المعارضة العربية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- انهيار وهم الحوار بَيْنَ الحضارات . إيبرو للطباعة . بيروت . ٢٠١٦م.
- البحيري؛ عبقرية وغربة وجمال . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة ثورة في كل شيء . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية وأزمة القيادة . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والحلول التهريجية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.

- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- حوار في الذاكرة بيني وبنيتي . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين . . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- سكر مالح (قصص) . حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- صوت السوط (مسرحية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٦م.
- الطريق إلى الإبداع؛ نحو نظرية جديدة . إيبرو للطباعة . ٢٠١٦م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العدوان الأمريكي على سوريا؛ حقيقة الموقف الأمريكي من الثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- العدوان الروسي على سوريا؛ مشروع إبادة الشعب والحضارة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- العرب أعداء أنفسهم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.
- العرب جثة تنهشها الكلاب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.

- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- الغرب الجاني على نفسه . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأَصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- كاسيوس لونجينوس: الرائع؛ بحث جمالي فيمة الروعة . ترجنة ودراسة تقديم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- الكل يطلق المار النار على السوريين وثورتهم . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.

- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- ملحمة المجانين (ملحمة شعرية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.
- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- نزيف العقل العربي؛ رؤية في هجرة الكفاءات العربية . العالم العربي . عمان . ٢٠١٦م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .

- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.
- يصغر أمامك الكلم (شعر) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.

فهرس

■ **الإهداء** ٠٠٥

■ **المقدمة** ٠٠٧

■ **الدكتور عادل العوا**

جيل مكتب عنبر ٠١١

■ **الدكتور عزت السيد أحمد**

الدكتور عادل العوا: سنديانة بعبق البنفسج ٠١٩

■ **الدكتور عزت السيد أحمد**

عادل العوا؛ قصيدة يرددها الزمان ٠٢٣

■ **الدكتور إلياس رزق**

رحل الدكتور عادل العوا ٠٢٧

■ **الدكتور زهير غزاوي**

أمام رحيل المفكر الكبير الدكتور عادل العوا ٠٢٩

■ **عبير عزض**

عادل العوا؛ الغائب الحاضر ٠٣٣

■ **أمينة عباس**

الدكتور عادل العوا وداعاً: نحن نزول وتبقى الفكرة ٠٣٧

■ **صحيفة تشرين**

رحيل عادل العوا المفكر الفيلسوف برجسون سوريا ٠٤١

■ **نصر الدين البحرة**

دمشق تشيع أحد أبرز أعلامها ٠٤٧

■ **رغداء ماريديني**

آفاق الحضارة في فكر عادل العوا ٠٤٩

■ **أنور محمد**

في حركة التنوير الوطني السوري؛ عادل العوا مؤسساً ٠٥٥

■ **الدكتور علي القيم**

فلسفة التاريخ ٠٦٣

■ **الدكتور محمد الجبر**

عادل العوا والفكر الأخلاقي ٠٦٧

■ **فريد جحا**

الأستاذ الكبير الدكتور عادل العوا ٠٧٩

■ **عادل يازجي**

التسامح كما يراه عادل العوا؛ من العنف إلى الحوار ٠٨٣

■ **الدكتور عماد فوزي شعيبي**

عادل العوا بين السياسة والأخلاق ٠٩٣

■ **الدكتور عبد الله أبو هيف**

الرؤى الحضارية في فكر عادل العوا ١٠٣

■ **وسام طيارة**

عادل العوا أسطورة فلسفية أخلاقية ممزوجة بياسمين دمشق ١١١

■ **مدونة وطن**

عادل العوا ١١٥

■ **رانيا الخطيب**

عادل العوا فيلسوف الوجدان والعقل ١١٩

■ **صحيفة تشرين**

عادل العوا فيلسوف الوجدان ١٢٣

■ **إدريس مراد**

آفاق الحضارة؛ عادل العوا فيلسوف الأخلاق ١٢٧

■ **الدكتور محمد الراشد**

معالم الكرامة في الفكر العربي للدكتور عادل العوا ١٣١

■ **مدونة العزيزية**

عادل العوا؛ سيرة ذاتية ١٣٩

■ **خاتمة** ١٤٩

■ **صدر للمُؤَلف** ١٥١

■ **الفهرس** ١٥٧

ADEL AL-AWA
IN HIS ETHICS AND HIS MORAL PHILOSOPHY

BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD

Published By DAR ANHAR
Beirut. 2017
Emil: sameah3@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة
دار أنهار للنشر
ALL RIGHTS RESERVED

هذا الكتاب

علمتنا يا أستاذنا في الدَّفاع عن الفلسفة أنَّ بعضهم ينتقد الفلسفة بأنَّها كالمجرة الَّتي تتناثر عنها الكواكب وتتباعد... لتبقى وحيدة بلا أولاد!! وقلت لنا إنَّ هؤلاء تناسوا أو نسوا أنَّ الأم الولود معطاء، وأن الأم الصدوق لا تريد لأبنائها أن يظلوا أطفالا ملتصقين بحضنها، وإنَّما تنميهم وتربيهم كي يصلب عودهم، ويستدَّ ساعدهم، ويستقلوا عنها... وحتَّى ولو عقوها فإنَّها لن تشعر إلا أنَّها أمهم الَّتي لن تغضب عليهم...

لم ندر حينها أنك أنت تلك المجرة الَّتي انبثقت عنها مئات النجوم والكواكب... صاروا نجوما وكواكب في عالم الفكر والسياسة والثقافة والأدب والإعلام... وبقيت المجرة الَّتي تنبثق عنها الكواكب والنجوم والشموس والأقمار... فكيف بالمجرَّة إن أنت حاولت إنقاصها شذرة، أو إكرامها بمحض ذرَّة.؟؟؟

الدكتور عزت السيد أحمد

عادل العوّا

أخلاقه وفلسفته الأخلاقية

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م

ADEL AL-AWA
IN HIS ETHICS AND
HIS MORAL PHILOSOPHY

BY PROF.DR.
EZZAT ASSAYED AHMAD